من روائع الأدب العالمي

الإلياذة والأوديسة

عرض وتبسيط

محمد رجب

الحائز على جائزة الدولة التشجيعية

سفير الدولية للنشر

obeikandl.com

obeikandl.com

الطبعة الأولى
١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م
حقوق الطبع محفوظة
رقم الإيداع : ١٥٣٧٥ / ٢٠٠٧
الترقيم الدولي : 6 - 12-6127-977
سفير الدولية للنشر
١٦ ش محمد عز العرب من ش القصر العيني - ص.ب : ٤٢٥ الدقي - القاهرة
ت : ٢٥٣٢٩٩٠٢ - ٢٠٢ - فاكس :٢٥٣٢٩٥٠٥ - ٢٠٢ +
E-Mail: info@Safeer.com ـ Web Site: www.safeer.com.eg
المعرض الدائم
٤٨ ش أحمد عرابي المهندسين
تليفون : ٣٣٠٤٩٤٠٣ / ٢٠٢+

obeikandl.com

الإلياذة

ملحمة هوميروس

obeikandl.com

الإلياذة

ملحمة هوميروس

أولاً: حياة هوميروس :

* هو شاعر اليونان القديم مبدع أعظم ملحمتين، وهما الإلياذة والأوديسة.

* معظم تفاصيل حياته مجهولة، لكنه عاش فى القرن السابع قبل الميلاد.. ولد هوميروس فى مدينة خيوس القديمة فى ولاية يونانية على ساحل الأناضول هى آيسونيا..

* كان هوميروس مكفوف البصر، ويطوف بأرجاء اليونان يلقى أشعاره ويتعيش منها..

* تعد الإلياذة (ومعناها حكاية طروادة) أشهر ملحمة فى العالم القديم، وقد وقعت أحداثها فى منتصف القرن الثانى عشر قبل الميلاد..

* تقع أطلال مدينة طروادة على شاطئ البوسفور، وقد دمرت المدينة تماماً على يد الإغريق فى حروب طويلة استمرت لمدة قرن كامل..

* رغم إجماع المؤرخين على أن الحروب نشبت بسبب

التنافس على التجارة البحرية فى جزر بحر إيجه وسواحل الأناضول وشمال اليونان إلا أن هوميروس يرجع وقوعها بسبب اختطاف «باريس» أمير طروادة لملكة اليونان الجميلة «هيلين»!

* * *

ثانيًا : الإلياذة :

الإلياذة ملحمة عظيمة ..

والملحمة هى الالتحام بين المقاتلين فى ساحة الحرب.. أى أنها عمل أدبى شعرى يدور حول الحرب.

لكن تطور مفهوم الملحمة ليتجاوز الحرب إلى وصف كتاب شهير فى التاريخ يتميز بطوله وضخامة أحداثه وتراميها ..

والملحمة نوعان :

(١) بدائى أو أولى .. أى قديم كالإلياذة والأوديسة..

(٢) مصطنع أو ثانوى .. أى حديث كالفردوس المفقود لميلتون.. وللملحمة خصائص منها أنها قصيدة شعرية طويلة.. وأنها تدور حول بطل (مثل إخيل أشهر عدّاء يونانى) أو حضارة (كحضارة اليونان وطروادة)...

وتتميز الملحمة بوحدة الحدث، والسرعة، وتبدأ فى منتصف

الأحداث، وتعتمد على الخرافة، والنبوءة، والتشبيه، ونبرة السمو..

تقع أحداث الإلياذة خلال وبعد حرب طروادة وبعدها... بين اليونان ومدينة طروادة..

تم تأليف الملحمة الشهيرة فى القرن السابع قبل الميلاد..

* * *

تنقسم الإلياذة إلى أحداث مثيرة متلاحقة هى على التوالى :

(١) ولادة إخيل..

(٢) اختطاف باريس للملكة هيلين.

(٣) وقوع الشجار بين قائد اليونان أجاممنون وإخيل البطل .

(٤) حشد أسطول اليونان لاسترداد الملكة.

(٥) مقتل البطل هكتور ابن ملك طروادة.

(٦) مقتل إخيل.

(٧) فتح طروادة وتدميرها.

* * *

هلم نتجول فى الإلياذة البديعة..

obeikandl.com

ها هو هوميروس يحكى لنا عن مولد إخيل..

لقد هام «زيوس» رب أرباب اليونان، بعروس الماء الفاتنة «زيتس» ابنة رب الأعماق «نريوس».

طارد زيوس عروس الماء، واحبها.. وحملت منه طامعة ان تصبح سيدة الآلهة..

لكن تظهر شائعة تقول إن المولود الجديد سوف يزيح أباه زيوس عن عرشه، ويستائر بالملك ويصبح سيد الآلهة جميعًا..

سارع زيوس بتزويج زيتس من الملك بليوس أحد حكام جزر اليونان..

* * *

فى حفل الزفاف ظهرت إحدى الإلهات، وقدمت تفاحة كبيرة من الذهب كهدية.. كان مكتوبًا على التفاحة «للأجمل»..

ووقع التنافس بين ثلاث من إلهات اليونان الجميلات وهن على التوالى:

١) هيرا، سيدة الآلهة..

٢) منيرفا..

٣) فينوس..

من يا ترى منهن تفوز بالتفاحة لأنها الأجمل ؟

وقفت الثلاث على جبل يشرف على البحر، واتفقن على أن يفصل بينهن أول عابر سبيل . .

وكان ذلك العابر هو «باريس» . . .

كان من عادة القدماء أنه كلما ولد لأحدهم غلام توجه إلى هيكل أبوللو في دلفي يقدم القرابين ويزف الهَدى، ثم يستوحي الكاهنة عما يكون مستقبل ولده، وما يفيض به من سعادة أو شقاء، ليأخذ للأمر أهبته، وليعد لكل شيء عدته .

فلما وضعت هكيوبا، ملكة طروادة، غلامها باريس، حمله أبوه الملك بريام إلى هيكل أبوللو، ليرى رأى الإله فيه . .

واربدّ وجه الملك الشيخ، حين قالت كاهنة المعبد إن ولده سيكون كارثة على قومه وعلى بلده. وسيأتي من الإثم ما يجرّ إلى قتل ذويه وبني جلدته . ويفضي إلى سقوط طروادة في يد أعدائها .

وتحدث بريام إلى هكيوبا في ذلك، فصمما على الخلاص من الطفل بتركه في العراء، فوق إحدى جنبات الجبل . ينهشه طير جارح، أو تفترسه ذئاب البرية . وأنفذا فعلتهما الشنعاء، ولكن القضاء ينبغي أن يتم، والقدر يجب أن يأخذ مجراه؛ فلقد جاز بهذا المكان من الجبل أحد رعاة الأغنام فوجد الغلام، وفرح به،

واتخذه لنفسه ولداً، ثم سهر عليه واعتنى به، ونشأ على الفروسية التى كانت أحب ما يزاوله الناس فى هذا الزمن.

وشبّ «باريس» فتى يافعًا، جميلاً ممشوقًا، فعمل مع الراعى الذى أنقذه، وكان مولعًا بالبحر، يحب أمواجه، يختلف إليه ريثما تقيء الأغنام من الحر، يلهو بالسباحة، ويتربّض بمصارعة الموج، وبدت له إحدى عرائس الماء – أيو نونية – وكانت جميلة، فهواها، وما لبثت أن أصبحت أعز شيء عليه فى هذه الحياة..

وهامت به أيونونية، وأخلصت له الحب، وكانت تنتظر عودته من رعى الغنم كما ينتظر الظمآن جرعة الماء، لكن وا أسفاه، لقد قضت الأقدار ألا يدوم هذا الحب طويلاً..

وأقبل «باريس» يعنى لأغنامه فزلزل قلب أيونونية، وخافت على حبيبها خوفًا شديدًا؛ ذلك أن أخبار النزاع الذى انتهى إليه يوم الزفاف من أجل التفاحة شاع، وتسامع به كل عرائس البحار، فلما عرفت أيونونية ما اجتمع الربات من أجله اضطربت، وقلقت على باريس؛ لأنه وحده هو الذى يجوز بهذا الطريق، وكان مصدر قلقها هو ما عساه أن يجره على نفسه – إذا قضى بينهن – من سخط الربتين اللتين لا يقضى لهما بالتفاحة..

* * *

صاحت هيرا: «قف أيها الراعى الجميل فاحكم بيننا فيما نحن مختلفات فيه، تلك تفاحة من الذهب ساقتها السماء إلينا

منحة لأكثرنا جمالاً وأبهانا رونقًا، وأنا – هيرا – ملكة الأوليمب، وذات الحول والطول فيه، وربة التاج والصولجان، وصاحبة القوة والسلطان. وآثر أزواج ربك، كبير الآلهة، وأحبهن إليه... أنا – هيرا ذات الجبروت – وولدى مارس إله الحرب، ورب الطعن والضرب، أقوى أبناء زيوس العظيم.. وولدى فلكان كذلك، إذا شئت سرد لك الدروع من حديد، فتصبح سيد أبطال العالم، لا يشق لك غبار، ولا يجرى معك فى مضمار. إذا خضت حربًا حماك مارس وأيدك، ونصرك فلكان وآزرك... ألست ترى إذن أيها الراعى الجميل أننى أحق من هاتين بتلك التفاحة؟ أنا – هيرا ملكة الأوليمب– سأمنحك الثروة التى لا تُفنى، والسلطان الذى لا يبيد.. ساجعلك ملك هذه الديار التى ترى... ستكون صاحب عرش وتاج، وستستريح إلى الأبد من هذه الحياة الضنك التى تحياها.. أنت جميل يا فتى.. وأنت بعرش عظيم أولى منك بهذا القطيع الذى يثغو». وصمتت هيرا.. وجعل باري يقلّب فى التفاحة ناظريه، وفى قلبه مما رأى وما سمع قلق عظيم..

لقد كانت هيرا تختال فى ثوبها الأوليمبى الموشى، وكان طاووسها الجميل – الذى اتخذته منذ الأزل رمزًا لها – يتشبث بناصيتها، فيزيدها جلالاً وكبرياء.. وأوشك الفتى الراعى أن يقدم التفاحة لهيرا، لولا أن صاحت به منيرفا.

«مهلاً أيها الشاب.. اسمع منا جميعًا ثم اقض بيننا.. أنا لن

أخدعك بملك ولا سلطان، أنا منيرفا ربة الحكمة ساضيء مصباح المعرفة بين يديك، فتكون أهدى الناس، وأعلم الناس، وأحكم الناس»..

وسكتت منيرفا. كاد باريس يلقى بالتفاحة فى يدى منيرفا.. لولا أن تقدمت فينوس الحلوة.. فينوس الساحرة.. تطارد قلب باريس وتحاصر عينيه حتى لا يقعا إلا على عينيها.. تقدمت فينوس تبتسم للراعى الجميل عن فم حلو رقيق، وقالت: باريس أنا فينوس التى صليت لها بالأمس، والتمست منها التوفيق.. هانذا يا باريس.. التفاحة للأجمل.

الست تحب أن أهبك أجمل زوجة فى العالم؟ ستكون زوجتك مثلى، تغمرك بجمال لا حدود له، ولن تشعر معها إلا أنك تعيش فى جنة.. فتنة.. نظرات حلوة.. خد مورد.. أهداب كظلال الخلد.. عينان تجلاوان.. جسم ممشوق طويل.. زوجة ترضيك وتفى لك.. قلب ينبض بحبك.. هاتها يا باريس هاتها يا حبيبى!».

وقبل أن تتم سحرها، كان الفتى البائس، قد ألقى التفاحة فى يديها الجميلتين..

وجر على نفسه غضب هيرا ومنيرفا، وكتبت التعاسة عليه وعلى قومه ولم يلق أيونونية بعدها..

هنا صرحت له فينوس بأنه ابن بريام ملك طروادة... اندهش باريس وراح يحاورها وهو مذهول..

– «أنا؟.. أبـــى .. ملـك؟.. هـذا الـراعى؟.. مـلـك ماذا؟..»

– «ليس هذا الراعى قلت لك .. أنت لست ابنه. أنت سليل الملوك الصناديد..».

– «إذن من عسى أن يكون أبى ؟».

– «هو.. هو..».

– «هاهاها .. ومن جاء بى إلى هنا؟ سرقونى؟ .. أليس كذلك؟».

– لا تنس يا باريس أنك فى حضرة فينوس.. وأقولها لك مرة أخرى، إن الآلهة لا تكذب.. أجل أنت ابن بريام ملك طروادة.. قيل له إنك تجر عليه ألوانًا من العذاب فصدّق، وأرسل بك من تركك فوق جبل بعيد لتأكلك الذئاب .. كل هذا إذ أنت طفل صغير.. وليد.. ولقد عثر بك ذلك الراعى الذى تحسبه أباك، ففرح بك وقال لامرأته: عسى أن يكون لنا منه ولد.. والآن .. لقد وعدتك زوجة جميلة.. أجمل امرأة فى العالم.. فاذهب أولاً إلى طروادة، والق أباك فإنه سيعرفك؛ لأن له أبناء خلقهم كخلقك..

وسيحدثه قلبه... وتكلمه روحه أنك ابنه.. سيفرح بك بريام يا باريس، وسيخفق قلب هكيوبا.. أمك التى تبكى من أجلك، وتتمناك بنصف ملكها.

فإذا اطمأنوا إليك، ولبثت فيهم أيامًا، فأبد لهم رغبتك فى الإبحار إلى بلاد الإغريق فى أسطول كبير.. إلى أسبرطة.. إن هناك المرأة التى وعدتك.. أجمل نساء العالم..»

وغابت فينوس وكأنما ابتلعها الهواء..

* * *

وجلس باريس على صخرة تشرف على البحر المضطرب من جهة، وعلى السفح المعشوشب المصطخب بالحياة من جهة أخرى، ثم أخذ يفكر فى كلمة انفجرت عنها شفتا فينوس..

«ترى؟ أصحيح ما قالته فينوس؟ أصحيح أن بريام أبى؟ ألا أنادى الراعى أبى بعد اليوم؟ وأنت أيتها الأغنام: أفراق لا لقاء بعده؟ وا أسفاه. لم لقيت فينوس؟ عزيز علىّ أن أهجرك إلى الأبد أيتها الأرض العزيزة..

الوصول إلى طروادة :

وصل إلى طروادة .

وجلس فوق هضبة مرتفعة قليلاً ، فنظر إلى المدينة الخالدة، واجتمع حوله أصدقاؤه الأمناء الأوفياء يسألونه فيم جاء إلى هذا البلد، ولم هجر قطعانه وأوطانه، وهل فى أمره حب؟

طمأنهم باريس ووعدهم خيراً. ودخلوا المدينة..

ويمّموا نحو ميدانها الرحب الفسيح، حيث اجتمع خلق كثير يشهدون المهرجان الرياضى، ويمتعون أنظارهم بشتى الألعاب التى يمارسها أبطال طروادة وما جاورها من القرى، ولبث باريس وأصحابه ينظرون إلى المتبارين ساعة، ثم قدّموا أنفسهم إلى الرئيس المشرف على الألعاب، فاشركهم فى كثير من المباريات..

برز باريس على أقرانه، وبذّ كل من تبارى معه حتى لفت إليه أعين الجمهور، وأصبح موضع إعجاب الحاضرين.

وكانت الأسرة الملكية، الملك وزوجته وأبناؤه وحاشيته، يحدّقون فى الفتى مشدوهين مأخوذين، وكانت الملكة بخاصة تحس كان رباطًا روحانيًا يجذبها إلى الناحية التى يجول باريس فيها ويصول، وأخت كاسندرا، ابنة الملك، ما كان ينتاب أمها من عواطف، وكانت فتاة بارعة الحسن.

فلما شاهدت ما كان من فورة الإحساس التى تجرف قلب أمها من أجل باريس، ذكرت أن هذا الشاب ما هو إلا أخوها الذى نبذوه بالعراء فوق الجبل لتاكله السباع، وآبتها على ذلك هذا التشابه الشديد بينه وبين أبيها الملك. وحاجّها قومها فاحضروا باريس ليطابقوا بينه وبين بريام، ولكن المطابقة ما كادت تتم حتى أخذته هكيوبا فى حضنها الحنون المرتجف، صائحة: «ولدى باريس.. ابنى باريس .. ولدى .. إلىّ يا بنى..» أما الملك فقد بكى هو الآخر، ونهض فعانق ابنه عناقًا طويلاً حارًا، غاسلا جبينه المتلألئ المشرق بدموع الاعتذار عن الماضى البعيد الحزن.

ولما أخبرهم باريس أن فينوس، ربة الحب والحسن، هى التى هدته إلى مولده ومنشئه وكريم أرومته، خر الملك وأهله ساجدين.. إلا كاستدرا..

لقد عبست وحدجت أخاها الغريب بنظرة غضب، ثم صاحت بالملك: «أبى لتحذر هذا الأخ.. لتحذر باريس.. وتتذكر نبوءة الكاهنة فى معبد أبولو.. ابنك يجر الخراب على مملكتك، ويُعرّض شعبك للدمار، وينشر الموت فى بيوت رعاياك»..

تضاحك الملك مستهزئًا، وغمزت الملكة ابنتها، ولمزتها بكلام قاص. أما هكتور فقد عبث بأخته ومازحها مزاحًا ثقيلاً.

– مسكينة كساندرا!

حتى الحاشية استهزأت بها وأشعرتها المذلة والهوان.

كل ذلك والرعاة.. أصدقاء باريس.. ينظرون ويعجبون ولا يفهمون..

* * *

نعم باريس. ها هو يعيش في قصر منيف، وها هو ذا لأول مرة في حياته يخلع هذا الصوف الخشن الغليظ،ليلبس الحرير الأبيض، وشعب بأسره يطيع أباه ويطيعه، وجيوش تصدع بأمره، وأساطيل تملأ البحر، إن شاء أرست، وإن شاء أقلعت، وملك وسلطان، وتاج وصولجان.. لا تنقصه الآن إلا أجمل فتاه في العالم..

تلك الفتاة التي وعدته فينوس..

* * *

في أسبرطة :

أبحر إلى أسبرطة في يوم عاصف.. أسود من جبين الموت، وأبرد من بطون القبور.. كان أسطوله يرقص على نواصي الموج، كما يرقص الطائر المذبوح في قبضة الفناء ليلتقي بهيلين..

كان جمالها أسطورة مصورة في السحب، موشاة بذهب الأصيل.. كانت نظراتها تتغذى بأرواح المحبين، وترتوي بماء حياتهم.. وإن كان محبوها يحصرون بالآلاف..

هذه هي هيلين..

تقدم إلى خطبتها كثير من سادة الإغريق ونبلائهم، ولكن أحداً منهم لم تقبله هيلين..

وخشي والدها أن تنشب الحرب لو أن هيلين قبلت أحدهم زوجًا لها دون الآخرين .. وأسقط في يده حين تقدم منلوس ملك أسبرطة، إلى هيلين يطلب يدها.. فلما قبلته تضاعف فزعه وازدادت خشيته، وأيقن أنه لو أنفذ من أمر ذلك الزواج شيئًا فإن أمراء هيلاس بأسرهم يصبحون له أعداء ألداء، وهو لا حول له ولا قوة بعداوة أحدهم بمفرده، ولذلك لجأ إلى الحيلة..

أقام حفلاً كبيرًا دعا إليه كل من تقدموا لخطبة هيلين، وبالغ في إكرامهم والاحتفاء بهم، ثم خطب فيهم، فتحدث عن فتاته وما كان من أمر خطبتهم لها، وعدم التوفيق في إنجاز شيء مما أقدموا عليه واختلفوا فيه..» فإن بدا لهيلين يا سادة أن تختار أحدكم ليكون زوجًا من دونكم أطلب يمينًا - يا سادة - صادقة تقسمونها فتكون عهد الوفاء بيننا، أن ترضوا جميعًا ما ترتضيه هيلين، وأن تكونوا يدًا على من يحنث، ولو كان أعزكم جانبًا وأكثركم قوة.. ويجيب المدعوون في صوت واحد «حاشا حاشا» .. لنقسم جميعًا..».

وأشرفت هيلين على الملأ، وكادوا يفتنون بعد أن أقسموا لولا أن أرسلت الفتاة صوتها الموسيقي الرنان.. تختار ملك أسبرطة، الملك منلوس، ليكون زوجها الوفي الأمين.

وطاطأوا رءوسهم .. وانصرف أحدهم إثر الآخر..

* * *

رسا أسطول باريس في مرفأ ليسيمونيا عاصمة أسبرطة، وخرج الإسبرطيون وعلى رأسهم ملكهم ومليكتهم للقاء ابن بريام العظيم، حيث شاع أنه ينزل ضيفًا كريما على صاحبي العرش، فيلبث أيامًا في ضيافتهما، ثم يعود أدراجه إلى طروادة..

تقدم الملك والملكة فسلما على الضيف الشاب، وتحرك الموكب الكبير في طريق حفت بالشعب والطروب، وفرشت بأوراق الورود، وتأرجحت في جنباتها أنواع الرياحين.. وكانت فرق الموسيقيين تعزف هنا وهناك، فتراقص ألحانها العذبة حبات القلوب.. وكم كان جميلاً رائعًا إنشاد الجنود وقد وقفوا صفوفًا صفوفًا، كلما مر الموكب الملكي بفرقة منهم دوى هاتفهم حتى يبلغ عنان السماء .. فإذا فرغوا واصلت هتافاتهم فرقة ثانية.. وهكذا..!

وكان سرب من أجمل فتيات اليونان وحسانها يحيط بالملكة الجميلة، وقد قصرن ثيابهن، وأرسلن شعورهن، فبدون فتنة الركب، وكن سحر الموكب.. ولفتن من باريس بصره وسمعه وفؤاده.

وكان الفتى يخالسهن نظرات شغوف، وكن بدورهن يبتسمن له ويتبرجن، حتى التقت عيناه بعيني الملكة.. فنسي نفسه.

وأحس كأن قوى خفية تجذب روحه لتمرغها تحت قدمي

هيلين، وطفق يفكر أين رآها من قبل.. ولكن بلا جدوى..

ثم بدت له فينوس بحيث لا يراها أحد غيره.. وقالت له: «هي.. هي.. كن شجاعًا..» ثم غابت ربة الحسن.

فذكر ماضيه القريب، وذكر ما وعدته به فينوس، وذكر أن هيلين إن هي إلا صورة أرضية، سماوية، من ربة الحب.. وأنها مخلوقة كخلقها، عذوبة روح، ورقة نفس، ودفء دم، وسحر عيون.. فصمم على أن تكون له..!

* * *

ولبث في ضيافة الملك أيامًا.. ثم حدث حادث جلل في أطراف المملكة تطلب وجود الملك نفسه ليرى رأيه فيه، فلما كان يوم السفر ودع منلوس زوجته الحسناء، وأوصاها بإكرام ضيفه العظيم: باريس «ابن صديقي ملك طروادة» فطمأنته هيلين..

أقبلت هيلين على ضيفها. أقبلت عليه تؤانسه كما أوصاها زوجها، وأقبل هو عليها يغازلها، ويبحث فيها عن أجمل امرأة في العالم كما وعدته فينوس.

وقف كل منهما أمام صاحبه ليسمع إلى لغة المقادير في الأعين المغرورقة بالدموع، وخفقات القلب التي تقول ما لا يفهم.

لقد كان كل منهما يحملق في عيني الآخر، كأنه كان يبحث عن شيء قديم عزيز ضائع.

ترى؟ ماذا كان هذا الشيء؟

* * *

– «ألا يسرك يا هيلين أن نعيش سوياً أبد الدهر؟»

– «ألا يسرني؟ ما السرور إذن يا حبيبي باريس؟»

– «إذن فلنرحل في ظلام الفجر».

– «إلى أين؟».

– «إلى طروادة».

وأقلع الأسطول في غبشة البكور يحمل هيلين.

* * *

لابد من الحرب !

عاد منلوس من رحلته في الحدود، وليته لم يعد !

جن جنونه حينما علم من أمر زوجه وضيفه ما علم.

«علام إذن كانت كل هذه الضجة، التي أحدثتها تلك اللعينة قبيل زواجنا؟ الحرب . الحرب. الانتقام من الفاجرة.. اقتلوا الخائن! يا حلفائي .. تنداريوس.. ادع حلفاءك.. لقد أقسموا جميعًا.. لقد كنت تتوقع هذه النهاية يا تنداريوس.. استيقظ .. استيقظي يا أسبرطة.. جنودي .. شعبي .. هلموا إليّ!».

obeikandl.com

وهكذا أرسلها منلوس صرخة تجاوبت أصداؤها فى جميع أجواء هيلاس، واستجاب لها كل قادر على الحرب فيها. لبى الصيحة كل عشاق هيلين الذين أقسموا اليمين، فهرعوا من المشارق والمغارب بخيلهم ورجلهم.. إلا ملك إيثاكا..

كبر فى نفس أوديسيوس أن يتقدم لخطبة هيلين فترفضه فيمن رفضت، وهو مع ذلك ملك إيثاكا وبطلها، وفارس هيلاس الذى لا يشق له غبار.. وكبر فى نفسه أن تؤثر عليه منلوس، وهو مع ذلك دونه شجاعة، وأقل منه إقداماً حين يثار النقع وتستعر الحرب، وكبر فى نفسه أيضاً ألا تكون له زوجة يفاخر بها ويزهى على كل جميلة فى العالمين، فذهب من فوره إلى عمه، فتزوج ابنته الجميلة الرائعة بنلوب: «الزهرة التى تهتز للندى، وترقص لخيوط الشمس الذهبية».

عز عليه أن ينأى عن زوجته الجميلة وطفله العزيز تليماك المحبوب، لاشىء يجر عليه مغنماً أو رفعة، ولكن ليحارب حرباً لا تعلم إلا الآلهة كيف تنتهى ليقعد إذن عن هذه الحرب، وليصم أذنيه دون صيحتها الكبرى، فإذا ألح عليه الملحون .. فليتظاهر بأنه مجنون مأفون.. لا تهديه مسكة من عقل ولا ترشده أثارة من تفكير..

أرسلوا إليه رسولهم السياسى الكبير «بالاميدز» يحضه على الحرب، ويذكره بيمينه التى آلاها، ويحرضه على «الطروادبين اللؤماء».

قال له :

– «أنا بالاميدز يا مولاى. وا أسفاه ..! إن هيلاس كلها تنتظرك ليومها المشهود».

– «الحرب يا مولاى، الأساطيل فى أوليس».

– «أى حرب، وأى أساطيل يا رجل؟»

– «سنحارب طروادة».

– «ولِمَ لم تذهبوا بعد؟».

– «نريد أن تكون معنا، فالكل يهتف بك ويدعوك؟».

– «أنا؟ يدعونى أنا ؟ وماذا أصنع فى الحرب؟ هل أخبروك أننى فارس؟ اذهب، اذهب..

لم يستطع بالاميدز أن يفوز منه بطائل؛ فقد مثّل ملك إيثاكا دور المجنون متقنًا، يحاول أن يفلت من هذه الحرب التى لا شاة له فيها ولا جمل، والتى قد يقتل فيها أو يؤسر من أجل زوجة خائنة لا شرف لها ولاعرض..

لجأ بالاميدز إلى الحيلة هو الآخر، فانقطع أياما ظل يرقب الملك فيها عن كثب، بحيث لا يراه. ولكن الجواسيس كانت تحمل أخبار السياسى الداهية أولا بأول إلى رئيس البلاط، وهذا يحملها بدوره إلى مولاه.. الذى يفطن إلى مكر بالاميدز فيبالغ فى حرث شاطئه..

ويسقط في يد بالاميدز فيطلق آخر سهم في كنانته على أوديسيوس، ذلك انه تحايل فسرق تليماك الصغير، ولي عهد أوديسيوس والأعز عليه من نفسه، ومن الدنيا وما فيها.

سرقه فذهب به إلى حيث والده، يحرث الشاطئ، ويحرث البحر، فطفق يضع الغلام أمام المحراث، ليرى ما يكون من جنون الملك، هل يقتل ابنه، ويكون بذلك مجنونًا حقًا، أو يتفاداه ويكون جنونه محض ادعاء، وبلهه تلفيقًا في تلفيق؟

ولكن الملك كان أحرص على ولي عهده، وقرة عينه، من أن تتم فيه حيلة بالاميدز الداهية. فكان كلما تعرض ابنه لخطر الموت، لوى عنان الثور، وذاد الفرس، متفاديًا الطفل إلى الناحية التي لا يكون عليه فيها خطر.

فتضاحك بالاميدز، وفضح جنون الملك، وأخجل حيلته.. ثم لم يزل به حاضًا محرضًا، حتى أقنعه بوجوب خوض هذه الحرب مع إخوانه الهيلانيين.

اختير أجاممنون للقيادة العامة، وإن لم يكن خير أعضاء المجلس. اختير أجاممنون إذن لأنه شقيق منلوس وممثله في هذه الحرب، ثم لأنه أكبر أعضاء المجلس الحربي سنًا، وهو مع ذلك أحد شجعان هيلاس المعدودين.

بعض أعضاء المجلس الحربي أشار بوجوب استيحاء الآلهة عما

إذا كانت حملتهم العظيمة هذه قد كتب لها الظفر والانتصار، أو الهزيمة والانكسار؟ ليكونوا من أمرهم على بينة، ثم رأوا تيرزياس كاهن المعبد يدلف نحوهم فى هدأة فجر صامت، فشخصت أبصارهم إليه.

جلس الكاهن المسن، يقلب فى القادة عينيه الكبيرتين، وصمت لحظة ثم قال: «أين ابن بليوس أيها الملأ..؟».

«أين ابن بليوس رب الأعماق، من زوجته ديتيس ؟ أليس فيكم إخيل؟».

فأجاب أجاممنون : «ومن إخيل أيها الأب المقدس؟».

فقال الكاهن: «هو ابن زيتيس التى قالت الأقدار أنها تلد غلامًا يكشف مجده مجد أبيه. ابحثوا عنه، فلن تفتح طروادة إلا أن يكون معكم. ولن ينفعكم أن تذهبوا بدونه. هكذا قالت الآلهة؟».

* * *

إخيل

تعجب القوم، ونظر بعضهم إلى بعض، ونهض الكاهن الوقور ذو اللحية المرتعشة يضرب فى غبشة الصبح، متكئًا على عكازه، الذى أحنته وأحنت صاحبه السنون...

* * *

عاشت زيتيس فى كنف بليوس قانعة راضية، لا يعنيها من هذا العالم الرحب إلا الجنين الحبيب الذى يتقلب فى أحشائها، فتتقلب معه أكبر الآمال.

ومضت شهور.. ووضعته غلامًا كثير الصخب، يضم الهواء برجليه الصغيرتين، فكأنما يضرب المشرقين والمغربين، وينظر فى السماء العميقة بعينيه الزرقاوين، وكأنما يبحث فى أغوارها عن جده.. ومجده.. وتراه أمه وتبتسم.

وشب الغلام، وتحدثت إلى أمه العرافات أنه سيكون محاربًا عظيمًا، تتحدث بذكره الركبان، وتتعطر باسمه المحافل فى كل زمان ومكان، وأن لابد من رحلة به إلى الدار الآخرة هدز – مملكة بلوتو– حيث تستطيع الأم غمس ابنها فى أمواه ستيكس، نهر الخلود الزاخر، الذى أودعته الآلهة أسرارها، ونظم فيه شعراء الأوليمب أشعارًا، واشتهرت بركاته فى العالمين.

حدثتها أنها إذا غسلت ابنها فى أمواه ستيكس، فإنها تكسب جسمه مناعة ضد الموت، وحفاظًا من القناء، لأن جلده يصبح كدرع من حديد، لا تنفذ فيه السهام، ولا يؤثر فيه طعن القنا، ولا ضرب السيوف البيض..

ووقفت به على شواطئ ستيكس.

وكان الآلهة قد استجابت لتوسلاتها، فقد نامت الأمواج واستقر سطح الماء، فتقدمت الأم المضطربة حاملة ولدها من إحدى رجليه، وذكرت أربابها، مبتهلة إليهم، وغمست إخيل فى الماء الهادئ فى أقل من لمح البصر، وعادت أدراجها فرحة متهللة.

إلا أن جزءًا واحدًا من جسم إخيل لم يغمره الماء...

ذلك هو عقب قدمه اليسرى، فيا للهول!

ثم أسلمت دنيس ولدها الحبيب للسنتور العظيم شيرون، مؤدب هرقل ومدربه، يلقنه الفنون الحربية، وينشئه على أعمال الفروسية، ويبث فيه تلك الروح الكبيرة، التى بثها فى سائر تلاميذه من قبل، فكانوا فرسان كل حلبة، وصناديد كل ميدان، ولقد نبغ إخيل فى استعمال السيف، واللعب بالرمح والقسى، والمصارعة والملاكمة وأصبح فتى زمانه، والهلع الملقى فى قلوب أنداده وأقرانه، إن كان له أنداد وأقران.

وعاد إلى أمه فاحتفت به، وذهبت من فورها إلى العرافات

القدامى، وكهنة المعبد، فاستوحتهم ما عسى أن يكون فى كتاب من حظ لابنها فى الميدان.

لكنها حزنت حين قال الكاهن الأكبر من أن إخيل سيدعى للقتال فى صفوف الإغريق، وأنه سيلقى حتفه تحت أسوار طروادة بسهم يرميه به ألد أعدائه، يصيب منه مقتلاً فى موضع دقيق من جسمه هو، وا أسفاه، عقب قدمه اليسرى التى لم تغمرها مياه ستيكس..!

وبدأ لها أن ترسل بإخيل، حيث يحل ضيفًا على ملك سيروس الكريم المضياف، وأن تنتحل الأعذار الواهية، فتعرض على الملك أن يسمح لولدها بالتنكر، مما يبدو به كأنه واحدة من بنات الملك أو إحدى سراريه، تحسب المسكينة أنها بذلك تعفيه مما قدر له، وهو أينما كان يدركه القتل، ولو كان فى برج مشيد!. واشتد طلب الإغريق لإخيل، وليث الأسطول الضخم يرقب قدومه فى كل لحظة عدة أيام.

استطاع أوديسيوس أن ينفذ إلى مملكة بليوس، فى أعماق المحيط، واستطاع أيضًا أن يختلط بالخدم وحاشية القصر، وأمكنه أن يستدرج بعض الأمراء المقربين من رجال الأسرة المالكة، فيعلم منهم أين يختبئ إخيل، وكيف يمارس حياة العذارى فى بلاط ملك سيروس..

فانطلق إلى سيروس النائية، التى تكاد تكون منقطعة عن العالم، وقد حمل على ظهره العريض، وكاهله القوى حقيبة كبيرة فيها بضاعة كثيرة من مصر، والهند، وفارس.. وانطلق إلى قصر الملك.

أرسلت بنات الملك فأحضرن هذا التاجر المفاخر بما معه، واجتمعن حوله يتفرجن ويتلهين، هذه تختار منديلاً من حرير الهند، أو منطقة من خز الشام، وتلك تشترى من أصباغ مصر وعطورها وخرزها، وثالثة تفتتن بتصاوير فارس فتشترى كل ما مع الرجل منها..

ولكن فتاة ملثمة .. وقفت وحدها ترمق سائر الفتيات بنظرات ساخرة، ولا تكاد تبين إلا عن عينين زرقاوين متسالقتين، تقدمت خطوات متزنة، ومشية منتظمة، وأخذت الحقيبة من الرجل فقلبتها وما كادت ترى السيوف الرقاق، حتى تهللت وبدا البشر في عينيها، وتناولت حساماً مرهفًا، وشرعت تلعب فى الهواء ههنا وههنا، كأنما تطيح به رءوس أعدائها الذين تتصورهم فى لوحة الخيال البعيد، المنطبع على أسوار طروادة..

انقشع الشك عن نفس أوديسيوس، وأيقن أنه أمام البطل المنشود، فصاح بصوته الجهورى، وكان الرعد ينبرى من بين شدقيه:

«إخيل»

وكـان كل مـا فى الأرض والسـمـاء راح يردد صـيـحـة أوديسيوس:

«إخيل.. إخيل.. إخيل..»

ووقف إخيل لحظة جامداً، شارد اللب، زائغ العينين، كأنه يستيقظ من حلم مفزع، ثم ما هو إلا أن نثر لثامه ومزق الغلالة الحريرية التى كانت تحبس جسمه العظيم فى سجن امرأة، وصاح بأوديسيوس وقد بدأ فى برد الأسد.

– «أنا هو.. أنا إخيل.. فمرحى يا رجل»

– «أنت هو...؟».

– «أجل.. إخيل بن بليوس..

– «وأنت مختبئ هنا فى خدور النساء، خشية الحرب التى احتشد لها قومك دفاعاً عن الوطن؟».

– «أية حرب يا رجل ؟».

– «بين هيلاس وبين طروادة».

– «ومن أثارها؟».

– لن تفتح طروادة إلا عليك، فأى فخر ينتظرك تحت أسوارها، وأى مجد يكلل هامتك يا أعز أبطالها !

تكلم، ولا تصمت هكذا، إن ملك إيثاكا يتوسل إليك، أنا أوديسيوس سأكون جارك في الخومة، وصديقك في المعمعة.

وسرعان ما انطلق معه إخيل .. إلى أسبرطة!

* * *

obeikandl.com

البطل الفدائى
أمام أسوار طروادة

اقترب الأسطول من الشاطئ..

ولكن أحداً لم يجسر أن يجازف بنفسه؛ لأن القتيل الأول، هو أول من يهبط إلى الأرض، كما أخبرت النبوءة فى معبد دلفى.. ومرت أيام، والهيلانيون فى سفائنهم ينظرون إلى أبراج طروادة، ولكن أحداً لا يرضى أن يكون الفدائى الأول !

«لأنى إذا نزلت إلى هذا البر المخوف فسيكون الموت محتوماً علىّ، دون أن أستطيع إلى قتل أحد من هذا الجند من سبيل. وأنا لم أحضر إلى هنا لأكون قرباناً للآلهة، ولكن لأزاحم وأقاحم وأنافح وأصول، فإن قتلت بعدها فبعشرات وعشرات، لا كما يقتل كلب البرية غير مفدى..».

بروتكيلوس البطل :

بيد أن هيلانيًّا مقاحماً ، هيلانيًّا واحداً، من خيرة القادة عزّ عليه ألا يكون فى هذا الجيش فدائى واحد يتلقى الطعنة الأولى، بثغر باسم ونفس مؤمنة مطمئنة، كبر على بروتكيلوس ألا يكون هو شهيد هذا الموقف، هانت عليه الحياة.

قذف بنفسه على الشاطئ، وأرسل صيحة الحرب كأنها رعد يميد به جانب الجبل، وتهتز من قصفه أسوار المدينة، ثم جال جولة هنا وجولة هناك، وإذا بالسهام ترشقه من كل مكان، وإذا هو ملقى على أديم الثرى مضرجًا بدمه، معفر الجبين بأول نقع فى هذه الحرب.

كانت روح بروتكيلوس الجذوة التى أججت نيران الحرب فجعلتها ضرامًا. فإنه ما كاد يرمى بالسهام فيسيل دمه، حتى تدفقت جيوش الهيلانيين على شاطئ الأسيوى غير مبالين بالموت الأحمر، الذى كانت تمطرهم به سهام الطرواديين، والمنية السوداء التى كانت تقطر من سيوفهم، فتحصد صفوف الغازين حصداً. لا . لم يبال الهيلانيون بهذا الهول الأكبر، بل انقضوا على الشاطئ شكاكيًا فى سلاحهم ، مقتعين فى دروعهم، مرهفين سيوفهم، تفيض عليهم عدة الحرب كأنهم جنة ترقص فى زوبعة، أو ظلال من الذعر تجول فى معمعة.

نظر الطرواديون من كوى أبراجهم، فراعهم التفاف الهيلانيين بمدينتهم، وإحاطتهم بها من كل جانب، وسرى الرعب فى قلوبهم.

وكان يحنقهم أن باريس الذى جر عليهم كل ذلك الكرب، وكان السبب العقيم لهذه الحرب، يقر فى مخدعه الوثير يداعب هيلين المنحوسة ويلاعبها، ويساقيها كئوس الهوى وتساقيه، غير آبه

لما يغص به قومه من كئوس الردى والحمام...

وخرج باريس لشأن من شئون لهوه. فسمع الناس يلغطون ويلمزون، ويلوكون اسمه بالسنة الهوان والتحقير، فثارت ثائرته وفارت حماسته، وأقسم ليرين الجبناء من ضروب شجاعته ما تنخلع له قلوبهم، وتطير من هوله ألبابهم.

وذهب من فوره إلى أخيه هكتور، فطلب إليه أن يرفع الراية البيضاء، ويخترق الصفوف حتى يكون فى وسط الميدان، وينادى قائد القوم ليتفق معه على أن يستريح الجيشان طيلة هذا اليوم...

ثم لتكون مبارزة بين باريس، على أن يمثل الطرواديين، ومنلوس على أن يمثل الهيلانيين، فإذا فاز أحدهما بصاحبه، وأظهرته الآلهة عليه، عاد إلى قومه فرحًا مسرورًا..

وطرب منلوس لما اقترحه غريمه الذى كان كالساعى إلى حتفه بظلفه، وصمتت الأفواه، وحملقت الأنظار، وتلمس كل جندى فى الجيشين قلبه من شدة الخفق وثورة الوجيب، وبرز منلوس وبرز إليه باريس، ومرت الأحداث سراعًا أمام عينى ملك إسبرطة..

فجأة ظهرت فينوس فى الميدان، واختطفت باريس وذهبت به إلى هيلين...

وانطلقت الإلهة منيرفا إلى الميدان، وأرسلت سهمًا قتل الملك منلوس...

لقد نزلت الآلهة إلى البشر فى ميدان الحرب! عز على فينوس أن ينهزم الطرواديون فذهبت إلى مارس إله الحرب..

ناصر مارس الطرواديين، إلى أن تدخل زيوس سيد الآلهة. هرب مارس من المعركة...

* * *

لمّ الطرواديون ورتقوا فتقهم، حتى استطاعوا أن يعيدوا الزحف، ويأخذوا أعداءهم المزهوين بنشوة النصر، على غرة منهم.

طرب الطرواديون لهذا النصر المفاجئ، وشاعت الخيلاء فى أعطافهم، حتى أبصروا فرأوا أوديسيوس يغادر الميدان متأثراً بجراحه، وأجاممنون يفر بنفسه، وديوميد محمولاً إلى سفينته يجود بروحه، وأجاكس العظيم يولى دبره، فأوقدوا مشاعلهم، وأججوا نيرانهم، واعتزموا إضرامها فى أساطيل الأعداء، ليكفوا طروادة شرورهم، وليأمنوا آخر الدهر مكرهم، وليتم نصرهم..

انتفض بتروكلوس الكبير، صديق إخيل، وأعز الناس عليه، وجذوة الحماسة المتأججة فى ضلوع الميرميدون.

لقد نظر بتروكلوس فرأى جموع الهيلانيين تنهزم إلى البحر، فتلقى بعتادها فيه، ثم يسبح منهم من يسبح إلى الأسطول الحزين الذى بدا عليه كأنه يرثى لرجاله، ويبكى على أبطاله، ثم يغرق منهم خلق كثير، فيبتلعهم اليم.. إلى غير عود.. ونظر فرأى

الطرواديين وأحلافهم، وعلى رأسهم هكتور الهائل كأنه زوبعة، ياخذون أبناء هيلاس غير راحمين..

ذهب بتروكلوس إلى إخيل مستنجداً به..

انطلق إخيل فصاح بجنوده، فهرعوا إليه فى سفنه الخمس، الراسية بمعزل من سائر الأسطول الهيلانى.. أقلع أسطول إخيل، ولكنه لم يقلع ليفر من واجبه، بل أقلع نحو الشمال ليكون جنده بمأمن، حين يهبطون إلى الشاطئ من كبسة الصفوف الظافرة، المشغولة باستئصال شأفة الهيلانيين.

وما هى إلا ساعة حتى رسا شمال طروادة. الميرميدون ينهمر على شاطئها الشاحب فيملؤه، وكأنهم كسف من العذاب أرسله نبتيون، رب البحار، من أعماق اليم ليقذف بها فى قلوب الطرواديين.

أما بتروكلوس فقد أقدم يتخايل فوق عربة إخيل، يجرها جواداه الأشهبان. إكسانوس وبليوس أعز خيل زفيروس إليه. ولقد كان مظهره الوقور يبعث الروع فى النفوس، فهذه خوذة إخيل تتألق فوق هامته، والريح العاصفة تداعب شعراتها فتجعل منها بركانًا يقذف الحمم. وهذه دروع إخيل سابغة فوق الصدر والفخذين والذراعين. وقدم إخيل فصافحه. ومنحه شرف القيادة العامة..

* * *

مقتل بتروكلوس

قتل ساربيدون ملك ليسيا وقائد فرسانها، وأشجع مقاتل فى جيش طروادة بعد هكتور. وقف بتروكلوس على جثته يصليها سخرية وهزوًا.

ويبدو لبتروكلوس أن طروادة، بعد ساربيدون، لقمة سائغة وغنيمة باردة، فيهتف بالإغريق مرة، وبالميرميدون مرة أخرى، أن يقتحموا أسوارها، وأن ينتهزوا فرصة تفتح عليهم فيها المدينة الخالدة.

ولا تدرى كيف يستيقظ الطرواديون وأحلافهم من سكرة الروع التى غشيتهم، فينكشف لهم أن البطل الذى قتل ساربيدون وعشرات غيره من صناديدهم، ليس هو إخيل العظيم، وإن يكن يحمل خوذته، ويتقنع فى دروعه، ويذرع الساحة بعربته.. فتهدأ أعصابهم، ويثبت جاشهم، ويأخذون فى مناهضة الإغريق جميعًا. استشاط بتروكلوس غضبًا.

تناول حجرًا كبيرًا، وقذف به ستينلاس الهائل، أشجع شجعان طروادة الأحياء، فأطاح جمجمته، وهوى الحجر على مفرش جواده فقتله، بين عجب الطرواديين وشدة تحيرهم.

لم يدع هكتور فرصته تمضى، بل سرعان ما أبصر بتروكلوس يتلفت، فأرسل رمحه إلى الرأس العارى.

وسقط بتروكلوس المسكين.. مضرجًا بدمه.

ووقف هكتور يتشدق، ويفاخر تلك المفخرة الكاذبة.

ولم يتورع هكتور أن ينزع حربته من رأس البطل، ولم يتورع كذلك أن يأمر فينزع رجاله عدة إخيل..

تذكارًا حربيًّا!

* * *

obeikandl.com

فزع الآلهة

قلق زيوس من اعتزام إخيل اقتحام الحرب.

وكيف لا يقلق سيد الأوليمب وكل من الفريقين يصلى له، ويطلب منه العون، ويتوسل إليه أن يظفر بعدوه، فتنجاب هذه الغاشية التى صرعت الرجال، وضرجت أديم الثرى بدماء الأبطال.

ودعا إليه أربابه، فعقد منهم مجلسا للمشورة، فانتظم ديوان الأوليمب.

واتفق الآلهة على أن يذهب فريق منهم فيكون فى صفوف الطرواديين يرشدهم، ويدفع عنهم عادية إخيل، ثم يذهب فريق آخر فيكون فى صفوف الهيلانيين يفل من نشاطهم، ويكسر من سورتهم، حتى تكون الحرب بين الجمعين سجالاً، إلى أن ترى الآلهة فى شئون خلقهم رأياً آخر..

وانطلقت فينوس إلى صفوف الطرواديين، وراح فى أثرها أبوللو وأمه لاتونا، وديانا ومارس وإكسانثوس، وفئة غير هؤلاء من عشاق فينوس.

انطلق الآلهة ينفخون أبواق الحرب.

وصاح إخيل فى شياطين الميرميدون صيحة مدوية.

ووقف إينياس تلقاء إخيل، فتبسم زعيم الميرميدون، ووعظ

المحارب أن ينثنى فلا يلقى حتفه، وذكّر بما حدث بينهما قديمًا، حين ساق إخيل قطعان إينياس السائمة فى سفح جبل أيدا، وما كان من فرار إينياس، هذا الفرار المضحك، الذى أشمت به الأعداء، وأثار عليه سخرية الأصدقاء والأعداء!.

ولكن إينياس، الذى كان لا يزال ماخوذًا بسحر أبوللو وموسيقاه، أبى واستكبر، وهز أعطافه، ثم أخذته العزة بالإثم، وانطلق يقذف فى وجه إخيل بهذا التفاخر الذميم الذى لا يجدى فى حلبة الحرب نفعًا، ولا يجر على صاحبه مغنمًا، يوم لاحكم إلا للمرهف البتار، ولا قول إلا ما يقول الفيلق الجرار.

والتحم المحاربان العظيمان.

وارتطم الصخر بالصخر، وثار النقع فى الميدان، وأظلم حتى تهاوت كواكبه، ونظر الجمعان نظرة القلق الحيران، وأخذ الذهول يضرب أطنابه على الساحة الحمراء، ونظروا فرأوا إينياس يستجمع كل قوته، ويقذف برمحه العظيم ، فترده درع فلكان، وإن تكن الطعنة قد شقت منها طبقتين، ثم فترت، فلم تصل إلى فؤاد إخيل.

وهنا اشتعلت نيران الدنيا فى عينى زعيم الميرميدون، وذاب فى أعصابه حميم من الغضب، وأرسل بدوره رمحه الهائل يرن على درع إينياس، فلا يصيبه بأذى، لكنه لعظم الطعنة، يصرعه ويطرحه فوق أديم الثرى، فريسة رخصية لغوائل الردى، وضربات

الرقاق البيض.

وينحنى إخيل من عربته الفخمة، فيتناول حجراً عظيماً، ينوء به العصبة من صناديد الرجال، ثم يرفع الحجر ليقذف به جمجمة إينياس، ولكن نظر إخيل فلم يعثر لإينياس على أثر. انقض إخيل يشفى غيظه بقتل عشرات وعشرات من أبطال طروادة.

* * *

obeikandl.com

مصرع هكتور

اختلط حابل الطرواديين بنابلهم، وظلوا يهرعون إلى الأبواب حذر الموت، الذى تلقفهم عن شمائلهم وعن أيمانهم.

انطلق إخيل يعدو فى أثر هكتور، وكان هكتور قد أخذته العزة أن ينجو بنفسه فيدخل المدينة مع الداخلين.

وكان بريام، الملك الشيخ، يشرف على الساحة الحمراء من أحد أبراج مدينته، فرأى ابنه واقفًا فى إحدى حنيات الأسوار يستجمع.

وانطلق ابن بليوس فى أثر هكتور، وأشرف عذارى طروادة يطللن من أبراج المدينة الخالدة، ويمسكن حبات قلوبهن أن تثب إلى الميدان تطؤها سنابك تلك الجياد الجوامح.. وكان كلما أغذّ هكتور، خف إخيل فى أثره.

فما كاد ابن بليوس يشهده مقبلاً، بعد إذ كان مدبرًا، حتى طرب قلبه، وشاعت بشاشة اللقاء فى زنده القوى وسواعده المفتولة، ثم انقلبت هذه البشاشة إلى جهنم من الغيظ، تستعر بالتشوف إلى الانتقام فى فؤاده، وتضطرم بلظى البطش فى سويدائه، وتطل من عينيه تود لو تنقدح فى أضلع هكتور!

وتزلزل الأرض تحت عربة إخيل، مما سمع من مهاترة ابن بريام

ويقذفه بشواظ من الكلم المحنق والقول المضطرم، ثم يقذفه بحربته الظامئة التي تمرق إلى هكتور كالبرق الخاطف، لو أصابت منه عضواً لذهبت به إلى الجحيم..

ولكن هكتور العظيم ينفتل كالبرق الخاطف، فيهوى رمح إخيل إلى أرض الساحة، ويغوص إلى ثلثيه.. إلا قليلا.

انقض إخيل على فخر طروادة وأملها المدحور، فعاجله بشكة من رمحه الظامئ نفذت في عنقه، وهوت به إلى أدنى الأرض المقدسة التي طالما دافع عنها مع جنوده البواسل الكرماء..

«هكتور. اليوم شفيت حزني المحض على بتروكلوس!

واليوم تذهب روحك إلى ظلمات هيدز غير كريمة ولا حميدة.. يا كلب طروادة المزعوم.. كم كنت تمني نفسك لو تظفر بي فتنبذ جثتي بالعراء لوحوش طروادة وجوارح طيرها.. ألا فحدث نفسك الآن ماذا صنع القدر بك!».

وتهدج هكتور قائلاً: «إخيل يا ابن بليوس العظيم. أستحلفك برأسك الرفيع، وأبويك الحبيبين، ألا تأخذ جثتي فتنبذها لكلابك، وتعفر جبيني الحر بثرى المذلة بين أصحابك، وحسبك أن الآلهة قد أظفرتك بي، وأن المقادير السود قد نصرتك عليّ».

فيقول إخيل، وقد زهاه النصر على ألد خصمائه: «اطمئن يا

هكتور، فكلابنا لا تستطيب إلا جثث الأبطال، وستكون لها وليمة فاخرة.. فورأس أبيك لو ملأ لى بريام هذه الدنيا ذهبًا على أن أخلى بينه وبينك، ليعود بك إلى طروادة، ما رضينا بك بديلاً..».

نزل إخيل من عربته، فانحنى على الجثة، ونزع تلك العدة العزيزة التى نزعها هكتور عن جثة باتروكلوس.. عدة إخيل فلن تكون بعد اليوم إلا لإخيل..

واستل ابن بليوس خنجره، وأهوى على عقبى هكتور فخرمهما وربط القدمين العزيزتين فى مؤخر عربته الحربية. ثم ألهب جياده فهامت على وجهها فى الساحة، وطفقت تطويها مثنى وثلاث حول طروادة، والرأس العظيم يتعثر بثرى المعمعة الذاهلة، والطرواديون فوق الأسوار ينظرون ولا يحيرون.. إلا هذا الملك الشيخ.. بريام المذهول، الذى راح يملأ الفضاء أنينًا موجعًا، وشجوًا مفزعًا.. وإلا هذه الأم المرزأة.. هكيوبا الملكة.. التى راحت تحثو التراب فوق رأسها، وتنقلب فوق الأرض كالطائر المذبوح!

وسرعان ما انعقدت الهدنة بين اليونان وطروادة..

* * *

مقتل إخيل

انتهت الهدنة، واندلعت نيران الحرب كرة ثانية، واقتحم الجمعان تؤجج العداوة صدورهم، ولم يُجد الطرواديين أن تنضم إليهم مليكة الأمازون تحارب بفصائلها فى صفوفهم وتشد بجموعها أزرهم؛ فإن إخيل يزداد كل يوم ظمأ إلى دماء قاتلى صديقه وأحب الناس إليه.. بتروكلوس الشهيد..

انقض إخيل على مليكة الأمازون التى انقضّت بدورها على جحافل الهيلانيين فأوقعت الروع فى نفوسهم، وقذفت الرعب فى قلوبهم.. فلم يزل بها يصاولها ويطاولها حتى نهز منها نهزة أنفذ بها رمحه فى صدرها، وجردها من سلاحها فإذا هى جثة هامدة..

وإن إخيل ليصول فى الميدان ويجول، وإنه ليرتفع بصره عفواً وعن غير قصد، إلى البرج الشاهق من أبراج طروادة، فوق البوابة الإسكائية إذ هو يلمح قمراً مطلاً من شرفة البرج، يرنو بعينى ظبى من هى؟

من هذه العذراء البارعة التى تشرف هكذا على الساحة الحمراء فتطفئ جذوات الغل المتقدة بين أضلاع إخيل؟

إنها الأميرة الفاتنة بوليكينا، صغرى بنات الملك الشيخ.. بريام البائس الباكى الحزين..

استطاع إخيل أن ينفذ رسله إلى بريام يستعتبه، ثم استطاع الرسل أن يخاطبوا الملك فى بوليكينا على أن تكون أحب أزواج إخيل وآثرهن إلى قلبه، فوعدهم الملك، بعد أن لحظ من افتتان ابنته هى الأخرى بزعيم الميرميدون، أن تتم مراسم الزواج حين تضع الحرب أوزارها، حين تنكشف هذه الغاشية عن طروادة..

ووتر باريس قوسه، وأرسل السهم المسموم إلى عقب إخيل فنفذ فيه، وأنفذ فيه القضاء..

ونفخ فى صور الحرب، واشتجرت الأسنة، واستحرّ القتال، وتبوأ فيلوكتيتس مقعداً للرماية لا يبصره فيه أحد، فى حين يبصر هو منه كل ما فى الميدان.

وراش سهامه، وتطايرت المنايا عن قوسه القوى. وسعت إلى الطرواديين مصارعهم، تهدهدها سهام هرقل، وتمهد لها يمين فيلوكتيتس.

ومرق سهم منها إلى باريس..

كان يشرف على المعركة من أسوار طروادة.. فوقع يتخبط فى دمه، ويغص بريقه، ويصرخ من الألم الذى يسرى فى عروقه مع الدم..

واجتمع حول باريس أبوه وذووه وعشيرته.. وهيلين.. وطفق الجميع يبكون باريس، والذكريات السود التى أقبلت من كل

صوب ترف فوقه...

وأخـذ الألم من باريس مـأخـذه.. وراح المسكين يصـرخ ويتلوى.. غير آبه لما تغرقه به هيلين من قبلات كانت الويل كل الويل على طروادة والطرواديين..

وقضى باريس نحبه !!

* * *

وفكر أوديسيوس في حيلة..

فعرض على زعماء الحملة أن يدعى مهرة النجارين والمثالين، فيصنعوا حصانًا هائلاً كبير الحجم... خاوى الجسم، فيكون بداخله جمهرة من أقوى شجعان الهيلانيين وأبسلهم، ثم يوهم الأسطول أنه أبحر بجنود الحملة، فإذا مضى شطر من الليل، وأقبل الطرواديون على الحصان فادخلوه مدينتهم تذكارًا لهذه الحرب الضروس التى أكلت أخضرهم ، وأحرقت يابسهم، وذهبت بالزهرة اليانعة من شبابهم.. ثم إذا كان الهزيع الأخير من الليل.. خرج الأبطال المختبئون ففتحوا أبواب الحصان، وانقض الجيش المرابط ، فاحتل المدينة.

وطرب القادة لهذه الحيلة، وانصرفوا عن القتال.. وانصرف الطرواديون فاعتصموا بأسوارهم ، ومهرة النجارين وكبار المثالين دائبون على حصانهم حتى فرغوا منه....

وأقلع الأسطول...

وانكشفت الساحة من هذا الجراد المنتشر الذى لبث فوقها عشر سنين...

واختبأ أوديسيوس داخل الحصان، ومعه نخبة من شياطين الميرميدون، وعلى رأسهم بيروس النجيب، وعصبة قوية من فرسان الإغريق البواسل..

فجاءوا يهرعون إلى الساحة ، وينكبّون حول الحصان، ويكلّمون سينون الذى تركه الهيلانيون عند الحصان ليخدع الطرواديين ولينصح لهم بنقله إلى المدينة ليكون لآخر الدهر تذكاراً لهذه الحرب التى شنها قومه على طروادة ظلماً، فباءوا منها بالبوار..

« .. هؤلاء الهيلانيون اللؤماء، الذين انصبّت عليهم أحقاد الآلهة، وثار عليهم كبير الأوليمب وسيده الأعظم، وسلّطت عليهم الزوابع والأنواء حتى كادت تفنيهم، لولا أن أمروا بتضحية قربان يشرى بنجيهم من غضب السماء.. ولكن ؟ من منهم أصاخ إلى الأمر المقدس؟ ومن منهم سمع إلى هتاف الأوليمب؟ لقد جبنوا جميعاً، ولم يشأ واحد منهم أن يضحى بنفسه لينقذ الجميع، حتى أوديسيوس نفسه؟ هذا الداهية المغفل، لقد جبن هو أيضاً، وفى

الوقت نفسه حاول أن يرغمنى أنا، أنا سينون المسكين، علىّ أن أقبل التضحية وأن أهب دمى لتهدأ ثورتها..

ولكنى رفضت فى شمم، وامتنعت فى إباء.. لا خوفًا من الذبح ولكن ضنًّا بدمى النقى الطاهر عن أن يهرق فى سبيل هؤلاء الجبناء.. الذين تكاكأوا وفزعت نفوسهم من صيحة السماء...

وهربت يا مـولاى ! يا مـولاى العظيم! .. ولذت بظلال طروادة الخالدة، طروادة المنيفة القوية، وجعلت أصلى لأربابى حتى استجابت لى، وأرسلت إليهم من أنذرهم بسوء المنقلب إذا هم لم يقلعوا هذا المساء.. قاتلهم سيد الأوليمب، وقاتلتهم الآلهة جميعًا. والآن .. ها هم أولاء قد تركوا هذا التمثال الرائع الذى أعدوه ليوم نصرهم، فجعلته الآلهة آية فشلهم.. انقلوه يا مولاى إلى المدينة، واجعلوه تذكارًا لهذه النوبة الجنونية التى شنوها عليكم فحاق بهم سوء ما كانوا يمكرون .. إلا فليكن قربة لمنيرفا.. وتعاون الطرواديون جميعًا فجرّوا الحصان، وهدموا بأيديهم جزءًا كبيرًا من سور طروادة المنيع لتتسع البوابة للتمثال الهائل..

وكان الأسطول قد اختبأ فى ظلال الأيك النامى فوق جزيرة تندوس، فلما كان النصف الثانى من تلك الليلة الخرافية الحالكة، وكانت طروادة كلها قد استسلمت للنوم العميق الذى يسبق

القضاء الصارم عادة فى مثل هذه الاحوال. هبّ سينون الخبيث ففتح الباب السرى الذى لا يعرف إلا هو مكانه من الحصان، وخرج الأبطال فقتلوا الحراس النائمين لدى الأبواب، وأشعلوا النيران، فرآها الجنود الذين عاد بهم الأسطول فى دجى الليل، فانطلقوا سراعًا إلى المدينة....

فدخلوها .. وأعملوا السيف، وشرعوا الرماح، واستباحوا المدينة، وأضرموا النيران فى القصور، وأتلفوا الحدائق، وهشّموا تماثيل الآلهة فى الميادين العامة، وقتلوا الصبية والأطفال، وجعلوا المدينة أطلالاً، وهكذا، وفى سكرة الليل، وهداة الظلام، تم للهيلانيين الاستيلاء على تلك المدينة العتيدة، وهبت من تحت الثرى عشرة أعوام طوال مضرجة بالدم، ملطخة بالإثم، حافلة بالذكريات، غارقة فى الدموع.. تشهد الفتح المجرم، وترى المأساة الظالمة فى آخر فصولها....

* * *

إلى هنا انتهى هوميروس من إنشاده فى الإلياذة...

غـيـر أنه يشـرع فى الإنشـاد من جـديد .. لكن فى رائعـة أخرى...

هى الأوديسة بالطبع !

* * *

obeikandl.com

obeikandl.com

الأوديسة

ملحمة هوميروس

obeikandl.com

الأوديسة

ملحمة هوميروس

موضوع الملحمة :

حكاية أوديسيوس بطل اليونان الشهير صاحب فكرة حصان طروادة..

الحكاية تدور أحداثها بعد انتهاء حرب طروادة وتدميرها وتشمل رحلة العودة للبطل إلى إيثاكا، والأهوال التى صادفته فى رحلته، وما قام به من مغامرات.. تسبى البطل أن يقدم القرابين للآلهة عقب الانتصار، وعاقبته الآلهة بالنفى بعيداً عن وطنه مدة عشر سنوات. كان الشرط أن يهبط أوديسيوس إلى العالم الآخر ليدله حكماء الموتى على طريق العودة وخلال رحلة العشر سنوات تعرض البطل للأهوال وهذه حكايته...

الآلهة غضبى !

اجتمع الآلهة فى مجلس الأوليمب ...

غضب نبتيون إله البحر على أوديسيوس..

تشفعت منيرفا لدى أبيها زيوس ليعفو عن أوديسيوس وينجيه من غضب نبتيون.. قالت: « ذلك التعس المسكين الذى تخطبه

وصحبه البحر، وقضى عليه أن يشقى هذا الشقاء الطويل، عند عروس الماء الفاتنة كاليبسو فى جزيرة أوجيجيا، ثمانية أعوام أو يزيد. ما ذنبه؟ ما جريرته؟ لماذا ينفى هذا العبد الصالح فى أقصى الأرض يا أبى؟ إنه خير عبادك أجمعين. أذكر كم ضحى الأضحيات باسمك، وقدم القرابين من أجلك، وحارب أعداءك، لقد نما إلىّ أن كاليبسو تحاول جاهدة أن تستميل قلب البطل، وأن تنسيه وطنه إيثاكا... يا للهول! كيف يا أبتاه! وهذه الزوجة بنلوب؟! بنلوب المحزونة! التى صبرت طوال هذه السنين بعد زوجها، بنلوب التى حافظت على طهرها وإخلاصها، أتظل هكذا سجينة فى قصرها المنيف الباذخ، ويظل هذا القصر محاصراً بعشاقها المجانين من أمراء الأقاليم ؟! أبى !! يا سيد الأوليمب ! ألا تدرك برحمتك أوديسيوس، وترده إلى وطنه ليذود هذه الكلاب التى ولغت فى حوضه، وكادت تخوض فى عرضه؟ تداركه يا أبى، تداركه بعطفة واحدة منك، وإنك على إنقاذه لقوى مكين».

واستجاب لها سيد الأوليمب، وقضى أن يعود أوديسيوس إلى إيثاكا، لكنه ذكرها برب البحار نبتيون، وذكرها بما بينه وبين البطل من ترات وثارات، سببها هذه الفعلة الجنونية التى فعلها أوديسيوس بواحد من السيكلوبس، أبناء نبتيون إذ اقتلع عينه الواحدة التى كان ينعم بسببلها بزينة الحياة.. وشاعت الغبطة فى نفس منيرفا، وتضرعت إلى مولاها أن ينفذ ولده هرمز إلى جزيرة

أوجيجيا، فيأمر عروس الماء كاليبسو أن تعد مركبًا عظيمًا لأوديسيوس ورفاقه، ليعودوا عليه إلى أوطانهم، ثم ذكرت أنها ستمضى من فورها إلى إيثاكا حيث العشاق المآفين يحاصرون قصر بنلوب، حيث ابن أوديسيوس المنكود، تليماك، يشهد خراب مملكة أبيه.

تليماك وعشاق بنلوب

جمع تليماك عشاق أمه وحدثهم شاكيًا.. وقال :

أيها العشاق جميعًا. لقد أرسلتها كلمة حق فلم تستمعوا لها ! أبداً لن أضرع إليكم مرة أخرى.. الآلهة بينى وبينكم، والإغريق أجمع، أعلم بأمرى وأمركم، غير أنى طلبت إليكم بودى لو أنلتمونى إياها.. فهل تسمحون لى بمركب وعشرين بحاراً فأقلع من فورى هذا إلى بيلوس ثم إلى أسبرطة، عسى أن أسمع خبراً عن أبى، أو أيقنت نبوءة من سيد الأوليمب الذى بيده ملكوت كل شىء... إنى إذا أيقنت أن أبى لا يزال حيًّا فقد أوفق فى العثور عليه ولو بعد حين، أما إذا استيقنت من هلاكه فإنى عائد إلى إيثاكا، فمقيم له نصبًا يتفق وهذا المجد الباذخ والذكر التليد، ثم يكون لى مطلق الحرية فى منح أحدكم يد أمى فتكون زوجته المخلصة إلى الأبد، بعد أن أتم لأبى كل المراسم الجنائزية، لتقر روحه العظيمة، وتسكن إلى ربها فى ظلال هيدز».

وكان فى المجتمعين رجل تبدو عليه مخايل النبل، وتتقد فى رأسه جمرات المشيب، تهالك على نفسه حين وقف ينافح عن تليماك، فإذا هو الشيخ منطور، الذى كان أوديسيوس قد استخلفه على أهله قبل إبحاره إلى طروادة، لصداقة قوية كانت تجمع بينهما... قال منطور :

«اسمعوا إلىّ يا أهل إيثاكا! ما لكم اليوم قد نسيتم أفضال ملككم أوديسيوس عليكم، وهو الذى كان يرعاكم كأب، ويغدق عليكم من فيضه العميم؟ ما لكم قد تقاعستم دون هؤلاء العشاق الذين يذهبون بخير مولاكم ويأكلون مال ابنه بغير الحق، وهم قليل وأنتم كثر، آمنين مطمئنين، لا يرهبون أوبة مفاجئة من البطل الشريد ..؟»

لكن العشاق استهزءوا تليماك.. وذهبت منيرفا إلى تليماك، وحثته على الخروج مع أصدقائه فى رحلة بحرية للبحث عن أبيه أوديسيوس.

ذهب تليماك إلى نسطور حكيم مدينة بيلوس ليسأله عن أبيه أوديسيوس.

قال له نسطور :

«بنى .. أيها الصديق الشاب... عليك أن تذهب من فورك إلى منلوس فتسأله عن أبيك، فلقد لقى الأهوال فى البحر، ولا

ريب أنه سمع كثيراً مما جرى فيه من مختلف الأمم فى رحلته المشئومة.. هلم انطلق إليه.. وإن لم تسعفك سفينتك فإنى ممدك بكل ما يحتاج البر والبحر، وها هم أولاء رجالى معك أينما توجهت، بل ها هم أولاء أبنائى، ليصحبك أحدهم، أو كلهم، إلى منلوس، فإن عنده الخبر اليقين».

وصل الركب إلى أسبرطة بعد أن غور فى وهادها وأنجد، وانطلق تليماك وصاحبه من فورهما إلى باب منلوس الملك، هش الملك لهما وبش، وأجلسهما إلى جانبه على مقعدين وثيرين، وهما فى دهشة من ذاك المنظر العجيب. وأقبلت فتاة فصبت على أيديهما الماء، وذهبت فأحضرت مائدة رائعة منسقة، وعليها قدر غير قليل من أفخر الأشربة وأشهى الآكال، ووقف خادم آخر يقدم طبقًا بعد طبق، وكأسًا من ذهب بعد كأس من ذهب والملك فيما بين ذلك يبالغ فى إيناسه لهما والحفاوة بهما، وينظرهما حتى يفرغا من طعامهما فيخبراه عن أمرهما، وكان يتلطف فيقدم لهما قطعًا من شوائه بيده.

ولما علم منلوس بطلب تليماك بكى وقال :

أودائى على.. أوديسيوس ! أوديسيوس الكريم! ليت شعرى يا صديقى فيم شطت بك النوى وطال عليك الأمد؟ أحى ترزق؟ أم ثويت فى بطحاء بلقع؟ يا ويح لك، ولأبيك الشيخ، وزوجك الملتاعة، وابنك المحزون اليتيم تليماك، الذى عاد فى المهد ما بلغ

الفطام، إلى حومة الوغى . . » وتكلمت هيلين، فذكرت ما كان من أوديسيوس يوم التقى الجمعان، وكيف استطاع أن يتسلل مستخفيًا في ثياب شحاذ داخل المدينة العتيدة، وكيف قابلها في حجرة باريس ليطلعها على خطة اليونانيين، وما كان رجاؤه إياها ألا تفضحه عند أعدائه حتى يعود سالمًا إلى مخيمه، وأنها برت فلم تنبئ أحدًا بوجوده . . . ثم رأت أن تتنصل من فضيحة فرارها مع باريس فادعت أنها كانت مسوقة إلى ذلك برغمها؛ لأن فينوس كانت قد سحرتها عن نفسها (لما وعدت به باريس من أنها ستهبه أجمل غادات هيلاس إذا هو قضى لها بالتفاحة)!

وقال منلوس :

ضلت بنا الفلك بما نسينا من التضحية باسم الآلهة، فبلغنا شيطان مصر، ورسولنا عند جزيرة فاروس، بحيث كان في مقدورنا أن نروى من كوثر هذه البلاد التي تجرى من تحتها الأنهار، ثم لبثنا ثمة عشرين يومًا لا تجرى بنا ريح، ولا يرفه عنا نسيم، حتى نفد الصبر، وفرغ الزاد، وظننا أنه المعاد، لولا أن رثت لنا إحدى عرائس البحر فبرزت إلينا، وكانت لنا غوثًا أى غوث، كنت أجلس وحدى في منعرج بأحد أطراف الجزيرة، وكان بقية صحبى وأكثر الملاحين يرتادون الماء بشصوصهم عسى أن يحصلوا على سمك طرى يكون غذاء لنا وقالت عروس الماء: « أيها النازح الغريب ! سأنبئك فأصدقك ! إنك الآن مقيم بشطآن مصر التي تقع تحت

إشراف أبى بروتيوس، سيد الأعماق، ورب المياه المصرية، والمتصل برعايا نبتيون فى أغوار هذا البحر، فإذا استطعت أن تغفله فتقبض عليه وتشد وثاقه، فإنه يوفقك على أبعاد هذا اليم، والطريق السوى الذى ينتهى بك سالما غانمًا إلى بلادك ذلك وقف على كل ما حصل فى بيتك من خير أو شر خلال سفرتك الطويلة، لأنى أعرف أنك صفى السماء وحبيب الآلهة». غير أنى لم أر كيف تستطيع أيدى بنى الموتى أن تقبض على هذا الإله البحرى الكريم، ولم أخف عليها ذلك، بل حدثتها به، ثم غابت عروس البحر فى طيات الموج، وتركتنى فى حيرة مما ذكرت، ثم إنى عدت إلى قمرتى فى السفينة، وعاد كل إلى قمرته، وبعد أن تعشينا وكان الليل قد أرخى سدوله، نمنا نومًا لا آمنًا ولا قريرًا.. وبزغت الشمس من المشرق بأصباغ الورد، فنهضت أصلى، وأبتهل إلى السماء أن توقفنا لما فيه خيرنا، ثم انثنيت فتخيرت من رجالى ثلاثة هم أصلحهم لهذا الأمر، وهم موضع ثقتى ومعقد رجائى. وبرزت من الماء عروس الماء، وأحضرت لنا أربعة من جلود عجل البحر لنلبسها، ونستخفى بها، ولتتم الخدعة على أبيها. وأعدت لنا مهادًا فى رمل الشاطئ. ثم دلفنا نحوها، ونام كل فى مهده، وألقت فوقنا ما معها من الجلود. وتليثنا نرقب اليم حتى برزت عجول البحر فنامت فى الجون، ثم كانت الظهيرة فبرز بروتيوس وطفق يعد قطعانه. مبتدئا، لغفلته بنا، وكان أثارة من الشك لم تخامره فى حالنا، فانطرح ونام. وانتهزنا الفرصة، فانطلقنا نعدو

إليه، وقبضنا عليه، وشددنا وثاقه بحيث لا يستطيع إفلاتًا...

أوديسيوس يفارق جزيرة كالبسو..

كان مجلس الآلهة منعقدًا في دورة أوليمب، وقد استوى زيوس على عرشه، ومنيرفا.. ربة الحكمة والموعظة الحسنة، قائمة بين يديه، تحصي آلام أوديسيوس، وتبث أشجانه وتصور للآلهة صنوف العذاب التي يلقاها في جزيرة كالبسو.

تأثر زيوس لها، فأمر رسول الآلهة «هرمز» ليعاون أوديسيوس..

أصلح رسول الآلهة الأمين، هرمز، نعليه الذهبيتين، فخفقا به كالريح فوق السحاب وفي يمناه عصاه السحرية العجيبة، حتى كان فوق تلك الجزيرة المنعزلة عن جميع العالم. اهتدى إلى ذلك الكهف السحيق الذي تأوى إليه عروس الماء الشقراء ذات الشعر الكهرماني وقد جلست تغرد وتغني وتعمل دائبة في منسج أمامها، ووقف هرمز يمتع ناظريه بسحر هذه الجنة ثم دلف إلى الكهف. ولم يكن يسيرًا على عروس الماء أن تعرف من هو، وأي إله خالد طرق بابها، ولو أنها هي أيضًا فرد من أسرة الخالدين... وذلك لأن سكان السماء يكونون مثلنا أحيانًا، لا يعرف أحدهم جميع الآخرين، لبعد الشقة، ونأي الدار، وانقطاع المزار... وأرسل عينيه في كل شق من شقوق الكهف، بيد أنه لم يقف لأوديسيوس على

أثر.. كلمها هرمز فأنذرها من غضبة سيد الأوليمب وحضها أن تعمل على إبحار البطل. صعد هرمز إلى السماء، وانطلقت عروس الماء تبحث في الجزيرة عن أوديسيوس حتى لقته فوق صخرة ساهماً واجماً واقتربت منه عروس الماء في رفق وحدب، وقالت له: «أيها التعس لا تنتحب هكذا، ولا تصهر حياتك الغالية في تنور من الآلام، هلم.. هيا إلى عمل مجيد.. أمامك الدوح العظيم والأيك الذاهب فاقطع منه ما شئت واصنع لنفسك قارباً يحملك فوق هذا العباب المتلاطم. وسأزودك بكل ما يكفيك من طعام وشراب، وسأمدك بأثواب جديدة تقيك الحر والبرد، وسأسخر لك الريح تهدهدك إلى بلدك البعيد... هذا قضاء من آلهة السماء التي تقدر فتعدل، وتقضي فلا يرد لها قضاء..».

لم يهدأ للبطل المسكين بال، بل شرع من فوره يقطع كل أيكة عظيمة حتى اجتث عشرين من أكبر دوح الغابة.. وأتم صنع مركبة في أربعة أيام، وأنزله إلى البحر في الخامس، ثم أدخلته عروس الماء حمامها فغسلته ومخضته بالطيوب والعطور، وخلعت عليه من ديباج ثمين، وزودته بزقين من ماء، وأمدته بشيء كثير من طعام وأثواب. أبحر أوديسيوس عائداً.. لكن هبت ريح عاصفة، وعلت الأمواج.. وانقلب القارب.. وأوشك أوديسيوس على الغرق..، ثم حدثت المعجزة.. فقد وسعه بعد لأي وبعد عناء شديد أن يدفع نفسه دفعة اليأس إلى السطح، وأن يملأ رئتيه

المنهوكتين بتنفسه من الهواء ورأى القارب قريبًا منه، وقد انتزعت العاصفة قلاعه وشراعه، فسبح إليه وأمسك به، ثم استوى عليه، وتركه للأمواج تلعب به واحدة وتعبث به أخرى، وتجتمع عليه الرياح قبض له القدر عروس الماء (إينو) فى صورة غطاس الماء، ثم قالت له: «ويحك أيها البائس! فيم أثرت نبتيون عليك حتى ليتبعك فى شعاب البحر، ويصب عليك كل تلك الرزايا...؟ على؟ إننى أنصح لك أن تدع هذا القارب، تتدافعه الرياح حيث تشاء، ثم تخلع ملابسك، وتقفز فى الماء وتسبح بقوة وجلد تصل إلى شيطان فيشيا، حيث تسلم بنفسك، وتكون بمأمن من بطش هذا الجبار، ظن أوديسيوس أنه ينجو لولا تيار النهر الذى كاد يسلمه بدوره للمحيط، مما جعله يضرع لرب النهر ويبتهل.. ويدعو من أعماق قلبه ويصلى، حتى استجاب الرب الرحيم لصلاته، فكسر حدة التيار وقل من غرب الماء، واستطاع البائس المنهوك أن يصل إلى الشاطئ فانطرح على الثرى يقبله.. ويلهث ثم أسلم جفنيه للرقاد:

وحدث أن خرجت ابنة ملك الجزيرة مع صواحبها للنزهة فى عربة..

وهنا... شاءت متيرفا أن يهب أوديسيوس من نومه، ليشهد الغادة الهيفاء التى كتب فى الأزل أن تقوده إلى المدينة، ففيما كانت توزيكا تضرب الكرة لتلقفها إحدى وصيفاتها إذ هى تعلو

وتعلو، ثم تحلق كما يحلق الطائر، وتهوى فى العباب المصطخب..

وصرخت العذارى صرخة مدوية، فانتفض أوديسيوس وهب مذعوراً.

ارتبك أوديسيوس ولم يدر ماذا يصنع؟ أيجثو تحت قدميها يتوسل ويتضرع، أم عن كثب يستعطف ويسأل الفتاة دثاراً، ويرجوها أن تهديه إلى المدينة! وآثر الثانية فتلطف، ثم قال :

«عمرك الله أيتها الملكة! أربة من الخالدات، أم حسناء من بنى البشر؟ أضرع إليك أن تجيبنى! فإنك إن كنت ربة، فما إخالك إلا ديانا، ابنة سيد الأوليمب! ولك قسامتها ووسامتها وقدمها الممشوق، وحسنها السوى، وجمالها الراوى! أما إن كنت إنسية، فما أسعد آلك بك، ولشد ما يزهون بجمالك! كما خطرت فى ملعب وأجابته نوزيكا: «حبًا أيها الغريب النازح وكرامة! إن سيماك تدل على نبل، وسمتك عن رفعة! اصطبر على ما ابتلاك به كبير الآلهة الذى بيده العزة، يشقى من يشاء، ويهب لمن يشاء. وإنى سأدلك إلى المدينة، مدينة الفياشيين ملوك البحر، التى أنا ابنة ملكها العظيم الكينوس.

تقول: «مكانكن يا عذارى! فيم فراركن هكذا من إنسى كريم؟ لقد أبت الآلهة أن تطأ قدم عدو أرض أحبائها، بلادنا المقدسة، التى انعزلت فى لجج هذا الخضم عن كل العالم. إنه

غريب يا عذارى، جواب آفاق، قذفه البحر إلى شاطئنا، فمرحبًا به ضيفًا من لدن زيوس، وأهلاً بوفادته وسهلا... هلم إذن يا صويحبات فقدمن له طعامًا وشرابًا، ثم هيئن له حمامًا في منعرج ظليل عند حفافي النهر».

وأهرع البنات فقدن أوديسيوس إلى منعرج ذى ظلال وأفياء، وأعددن له ثوبًا وكساء، وهيأن طيبًا بها إذا فرغ من حمامه، حتى صلى للآلهة...

وفرغ أوديسيوس من صلاته، ووصلت عربة الأميرة إلى القصر فلقيها إخوتها الأمراء الخمسة، فحلوا الدواب وحملوا الثياب، وصعدت هي إلى مخدعها حيث كانت خادمتها العجوز الشمطاء تعنى بنار المدفأة. ولم تكد (يوريمديوسا) ترى سيدتها حتى انطلقت تعد لها وجبة المساء.

أما أوديسيوس فقد هب من مجلسه، ويمم شطر المدينة، وقد نشرت حوله منيرفا - الوفية - ظلالاً وغمامًا يحجبه عن أعين الناس حتى لايضايقه أحدهم بسؤاله من هو وفيم أقبل ومن أى الأقطار جاء.. ولاحت له قبل أن يلج باب المدينة في هيئة فتاة قروية كاعب تحمل فوق رأسها جرتها.. وتعمدت أن تعترض طريقه، فانتهزها فرصة وراح يسألها هكذا: «يا بنية! أتسمحين فتدليني على بيت رب هذه البلدة، الكينوس الكريم؟»

قالت منيرفا – ذات العينين الزبرجديتين– وهى تجيبه :

« حبًّا أيها الغريب الوقور وكرامة ! سأدلك على بيت الكينوس بنفسى، فهو غير بعيد من بيت أبى.. ولكن لى إليك وصية .. اصمت ما دمت سائرًا، ولا تحدج أحدًا بنظرة، ولا تكلم من أهل هذه البلدة إنسيًّا، فقد جبلوا على ازدراء الغرباء وقلة إيلافهم، فتور وبرود طبع لهم أعناق الموج وأساس لسفنهم أعراف الماء، فهى تخطر فيه كالطير حين تزف، أو كالفكرة حين تخطر فى الخلد ».

وصل أوديسيوس إلى القصر.. وذهب إلى الملك والملكة، وصل إلى حيث الملك والملكة، فكشف عنه غطاؤه، وجثا عند قدمى الملكة يبث شكاته بين دهش الملكين الكريمين وشدة تحيرهما :

« أريتا يا ابنة ركسنور صفى الآلهة! أتوسل إليك وإلى المليك العظيم، وأضيافكم النبلاء، منّ الله عليهم، وضاعف لهم آلاءه، وأنعم على ذراريهم وألف بين قلوبهم وقلوب رعاياهم، أتوسل إليك يا سليلة المجد ضارعًا أن تعطفى علىّ، وأن تكرمى مثواى، وان تعينينى على الرحلة من فورى إلى بلادى التى أتحرق إليها شوقًا، والتى فصلتنى عنها أهوال وأهوال! ».

وساد سكون عميق وصمت، وظل البطل المسكين جاثيًا عند حافة الموقد المتأجج، حتى تفجرت الرحمة، والحنان فى قلب أخنيوس، ابن الملك البكر، فراحت الكلمة الطيبة تتدفق من فمه

الجميل العذب في فصاحة، وحكمة تقليدية، وخبر، قال :

« حاشا لمجدك أيها الملك أن تدع هذا الغريب جائيًا هكذا في غبار وفي وهج النار، وأن تترك أضيافك ينتظرون أمرك وما تكلم منهم أحد! ألا فخذ بيد الغريب ومن الندمان يسقيه من كأس كبير الآلهة وحبيب الغرباء وذوى الحاجات، والنادل يهيئ له عشاء مما تبقى من وليمة الليلة ».

وما كاد الأمير يفرغ من قوله، حتى أنهض الملك أوديسيوس وأجلسه على كرسى فخم جنب ولده الحبيب الحكيم لاوداماس.. ثم أقبلت إحدى وصيفات القصر فصبت الماء على يديه من إبريق فضى، ثم أحضرت مائدة حافلة بأشهى الأكل وأطيب اللذائذ والأشربة، فأكل أوديسيوس وارتوى ».

ثم قال الملك :

فلننظر في شأن هذا اللاجئ الغريب، بعد أن نضحى للآلهة... إنه يطلب أن يعود في حمايتنا إلى وطنه كما يصل سالمًا غانمًا من غير أن يمسه أذى، نهض أوديسيوس الحكيم فقال : « غفرًا غفرًا أيها الملك! ما أنا من الآلهة؟ أين لى خلقها السوى، وكيانها السماوى؟ بل أنا شقى من أبناء هذه الغبراء، أثقلت كاهله حمولة هائلة من الكوارث والآلام حتى لا يعرف الناس من شقى شقاءه، ولا من تحمل مصائبه وإرزاءه.. بلايا صبتها على رأسه الآلهة فصبر

وأناب .. أوه ! أبدًا لا أنتهى إذا سردت لكم طرفًا يسيرًا منها! ولكن لا داعى الآن...

أرجوكم.. أتوسل إليكم... دعونى أتبلغ بهذه اللقيمات فى هذه اللمحة الخاطفة من الراحة التى لم أنعم بمثلها منذ بعيد.

تأثر القوم من أجله فأثنوا عليه، واتفقت آراؤهم على معاونته حتى يعود إلى بلاده ويلقى ذويه ثم نهضوا فصلوا ... الصلاة باسم الآلهة، وشربوا نخب رب الدار، ثم تفرقوا إلى منازلهم، إلا أوديسيوس، فقد ظل جالسًا ساهمًا واجمًا، كما ظل الملكان فى مجلسهما...

وحكى أوديسيوس حكايته...

فقال الملك: «كلا أيها السيد، إن صدرى لا يحمل مثل ذلك القلب النزق ... إن الرصانة والأناة أفضل ميزات الخلق الكريم... تالله يا بنى إنى لأوثرك كولدى، وبودى لو قبلت فصهرت إلىّ وتزوجت ابنتى، وعشت معنا كواحد منا ... فإن لم يرق لك أن تفعل، فإنى معد لك أسباب عودتك غدًا، وستنام ملء عينيك بينما يكون الفلك ينهب اليم ويطوى العباب، منسربًا فوق الموج بقوة الأذرع الفتية التى تعمل فى المجاديف حتى تصل إلى وطنك سالمًا غانمًا...

أوديسيوس يحارب الكيكلوبس ..!

حكى أوديسيوس للملك حكايته مع الكيكلوبس ... المرأة.. العمالقة...

قال أوديسيوس :

إذن فاعرف اسم ضيفك الشريد الذى لا يحمل اسمه أحد.. ضيفك اللائذ بكرمك، المستذرى بحماك، المتشبث بك ليصل فى ظلك إلى بلاده مهما تقاصت ومهما نأت... أنا أيها الملك.. أوديسيوس.. أجل.. هو أنا أوديسيوس ذو الذكر، المعروف بالدهاء والمكر، .. ابن ليرتيس ملك إيثاكا، وملك نريوس ذى الجزائر الآهلة حول ساموس وزاسنثوس، أم الجزائر التى تصافح تباشير الصباح بكل روضة فيحاء وخميلة لفاء، وجنات ذوات شجر وثمر، صبغا لأبنائها الأوفياء.. هناك.. احتجزتنى عروس الماء كليبسو فى مهفها، وراودتنى لأكون بعلها.. وهناك.. حيث أغرتنى سيرس هى الأخرى، سيرس صاحبة جزيرة إيايا.. حاولت أن تتخذ منى خليلاً فأبيت، ولم أقبل أن أضحى بأهلى ووطنى، أقص عليك من أنباء رحلتى منذ بارحت إلى اليوم، ولأدع ما قبل ذلك فهو معلوم مشهور: « أقلعت بنا الفلك إلى بلد السيكون فبدا لى أن أزيد فى ثروة رجالى وما فازوا به من أسلاب طروادة، فأشرت عليهم بفتح المدينة واغتنام ما فيها من كنوز، وسرعان ما تم لنا ذلك، فقتلنا العكسر وملكنا، ووزعت السبى والأسلاب على

جنودى، ثم أشرت عليهم بالرحيل فعصوا أمرى، لكننى صبرت حتى جمعت أمرهم، وأبحرنا إلى أن وصلت إلى أرض العمالقة.. الكيكلوبس.. !

« وصلنا إلى أرض المردة الجبابرة- الكيكلوبس- الطغاة العتاة، الذين لا يخضعون لشريعة، ولا يأتمرون بقانون، الذين تؤتى أرضهم أكلها رغداً من غير كد ولا عناء.. حبًّا وأبًا، وحدائق غلبًا وقضبًا وعنبًا، تسقى مما يفيض عليها جوف من مائه المعين... يعيشون فوضى، لا تربطهم رابطة، ولا يقوم بينهم نظام، يأوون إلى كهوف موحشة، فى الجبال.. يعنى كل منهم بنفسه وزوجه وأولاده وقطعانه، ولا يأبه للباقين، وتلقاء أرضهم توجد جزيرة معشبة أريضة شجراء فيها من الماعز السائم قطعان لا حصر لها، ألقينا مراسينا، ونزلنا من سفائننا، فى ظلال الليل الدامس، وفى حراسة الآلهة، بعد أن ارتطمنا بسيف البحر... ثم نمنا على الشاطئ حتى مطلع الفجر، وأشرقت الشمس تنضر بالورد مشرق الأفق، فنهضنا نجوب الجزيرة، ونتفيأ ظلال الحور، ونرى عرائس الماء ترعى الماعز، فبادرنا إلى سفننا، وأحضرنا الحراب والأقواس، ثم تفرقنا ثلاث فرق، وشرعنا نصيد من هذا الحيوان، فاجتمع لنا منه الشىء الكثير ».

ثم نظرنا ناحية الغرب، فما راعنا إلا دخان كثيف يصاعد فى الأرض القريبة، ورغاء وضوضاء كالرعد تنتشر فى جنباتها، وإذا

هؤلاء الكيكلوبس المردة ينتشرون فى الأرجاء، وأمامهم قطعان من الشياه والأنعام.. أعداد لا حصر لها.. أسرع أوديسيوس ورجاله إلى مغارة للهرب من المردة.. يحكى ويقول :

ورددنا الطرف فى المغادرة فرأينا مصافى كثيرة معلقة ينز الحصير منها ههنا وههنا، فعرفنا أن الكيكلوبس يصنع الجبن من ألبان مواشيه، وعلى مقربة منا شهدنا حظائر واسعة لصغار الشياه والحملان والماعز، وقد قسمت فرقًا حسب سنها.. وقد بدا لبعضنا أن نذهب بما هنالك من جبن وزبد، وأن نسوق إلى سفائننا، غير أنى آثرت لقاء الكيكلوبس رجاء أن يتفحنى من كنوزه، ويسبغ علىّ من آلائه، ولذا جلسنا ريثما يعود، وأكلنا من جبنه وزبده، وأشعلنا نارًا نستدفئ بها، ثم إذا هو يطوى المروج الخضر بقطعانه، وإذا على كاهله الرحب أثقال وأحمال من الحطب وفروع الشجر اليابس، حتى إذا كان لدى الباب ألقاها فاهتزت الأرض ودوى المكان، وانحبس بباب الكهف، فانقذف الرعب فى أفئدتنا، فهرولنا مذعورين صعقين، ثم أخذ فى حلب الإناث .. ونهض بعد ذلك فسد مدخل الكهف بحجر واحد كبير لو وضع على عربتين عظيمتين لم يستطع عشرون ثورا ضخمًا أن تزحزحه عن مكانه.. وجلس يحلب النعاج والماعز، .. وكان يقسم لبنه قسمين، فيحتفظ بأحدهما لشرابه، ويمخض الآخر لزبده وجبنه، ثم فرغ من هذا كله، وأضرم نارًا عظيمة ما كادت تلتهب حتى رآنا. فصاح

بنا: من أنتم أيها الغرباء؟ ومن أى البلاد نزحتم؟ « وزلزلنا زلزالاً عظيمًا، وكان صوته الأجش الخشن يلقى الرعب فى قلوبنا جمعت ما تبقى من وعيى، فقلت أجيبه: « نحن إغريقيون أيها العزيز وقد ذرعنا البحر اللجى شرقًا ومغربًا وقد لجأنا إلى مغارتك لنحظى بشىء من حسن ضيافتك..!

قبض على اثنين من رجالى وأكلهما، حتى إذا فرغ من إفطاره، هب إلى الحجر فزحزحه فى سهولة ويسر، كأنما كان يزحزح غطاء آنية، ثم ساق قطعانه، وأعاد الحجر إلى مكانه، ومضى يرعى. . . فكرت ألف فكرة فى وسيلة أنتقم بها من هذا المارد الوحش، ثم إنى أبصرت بجذع زيتون مشذب أعده الجنى ليكون عصا يهش بها على قطعانه، فقلت فى نفسى: « ولم لا يكون هذا الجذع طويلاً جدًا، فأقبلوا عليه ينحتون ويبرون، وأكببت أنا على نهاية الطرف أحدده. . . ثم انتهينا من عملنا وأخفينا الجذع تحت القش الكثير الملقى فى الكهف، وجلسنا نتخير من بيننا أشجعنا وأكثرنا يدًا وقوة، وأشدنا استعدادًا لحمله وغرزه من طرفه المحدد فى عين الكيكلوبس.. وانتهينا من ذلك إلى أربعة، وكنت أنا خامسهم، . . . ثم عاد الجنى فى موعده فأدخل قطعانه وأرجع الحجر إلى مكانه، وجلس يحلب الإناث ويقسم اللبن ويمخضه، ثم نهض إلينا فبطش باثنين منا وتعشى بهما، وقبل أن يستلقى على الأرض ليستريح أفعمت كأسًا كبيرة مما كان معنا من

obeikandl.com

خمر وتقدمت بها إليه وأنا أقول:

« ألا أيها الكيكلوبس! هاك كأسًا أحضرتها تكرمة لك إذا أنت أكرمت مثوانا وأطلقت سراحنا وساعدتنا على العودة إلى وطننا سالمين ! ولكن ! أواه! إن أحداً من البشر لن يجسر على أن يقترب من جزيرتكم بعد اليوم »!

وأخذ الكأس فعبها عبًّا، وسر بها سروراً كبيراً، ثم سأل أخرى فقال: « أيها الفتى ما اسمك؟ أعطني كأسًا أخرى... ونام العملاق، وسرعان ما هب أوديسيوس والأربعة من زملائه فدفعوا الجذع ففقأوا عينه الوحيدة.. صاح العملاق وزمجر. ونهض يجرى إلى باب المغارة...

زحزح الحجر الذى يسد الباب، وجلس عنده، مادًّا ذراعيه ليمنع أحداً منا أن يفلت أو يذهب بعض أنعامه.. إنه يحسبنا بلهاء مثله!! وجلسنا نعمل الفكرة بعد الفكرة، ونرسم الخطط تلو الخطط لنجاتنا.. أن يطلق سراحنا منه، لقد فكرت وفكرت، فبدا لى أن لدى الكيكلوبس كباشًا تستطيع أن تحملنا إذا ربط كل منا تحت بطن واحد منها.

كانت الكباش سمينة حقًّا، ذات فراء كثة وقوة كبيرة فقمت من فورى فجدلت من أغصان الصفصاف التى كان الكيكلوبس ينام فوقها، وجعلت من كل ثلاثة حبلاً واحداً، ثم ربطت كل

رجل تحت بطن كبش كبير قوى جعلته بين كبشين لا يحملان أحداً، .. أما أنا فتعلقت بصوف الكبش الأخير، وبقيت ساكناً صامتاً، ومكثنا هكذا ننتظر الفجر حتى بزغت الشمس فهرولت الذكران كعادتها للمرعى حتى إذا بعدت عن الكهف عن صاحبه قفزت من مكمنى، وعدوت فأطلقت سراح رفاقى. ثم أسرعنا إلى السفينة لنهرب من العملاق.. لكن العملاق رمانا بصخرة عظيمة كادت تغرقنا وابتعدنا عن جزيرة العمالقة...

أوديسيوس يواصل الحكاية :

بلغ أوديسيوس وأصحابه جزيرة الإيوليين حيث يحكم الملك إيولوس... استقبلهم الملك بالبشر والإيناس ووفر لهم الزاد، زود أوديسيوس بجعبة من جلد محبوس فيها الرياح الأربع.. ولاحت لأعين أوديسيوس ورفاقه شواطئ إيثاكا ففرحوا فرحاً عظيماً...

لكن التعب كان قد أخذ منه ومن زملائه مأخذاً عظيماً... ونام أوديسيوس.. يقول أوديسيوس :

لعب الوسواس فى صدور رجالى، زاعمين أنى أحمل كنوزاً من الذهب والفضة أسبغها على أيولوس الملك.. قال قائلهم: «يالالآلهة! أبداً ما وطئت قدما أوديسيوس بلاد قوم حتى تهالكوا عليه فرحين معجبين مكبرين! وهو اليوم يعود من طروادة ومعه من طرفها وسلبها الجم الكثير... أما نحن فوا أسفاه علينا! لقد

شاركناه تلك الرحلة المشئومة، وها نحن نرضى من الغنيمة بالإياب ونعود منها صفر الأيدى لا أمامنا ولا وراءنا! وها هو أيضًا قد فاز دوننا برفد ملك الرياح، إيولوس العظيم، هلموا يا رفاق! إلى هذه الجعبة ننظر ما احتوت من أصفر وأبيض ... أخذوا الجعبة فحلوا رباطها... واحسرتاه! لقد انطلقت الرياح الحبيسة، وزمجرت العواصف الهوجاء من كل صوب، وطفقت تكسحنا فى شدة وعنف.. بعيدًا... من إيثاكا! ولقد قفزت من غفوتى خائفًا مذعورًا.. حتى لخيل لى أن طوفانًا قد غمرنا !...

وظللت برهة فى ذهول ودهش، وطغت الأحزان على قلبى، وفت اليأس فى عضدى.. ولكننى لم أجد من الصبر بدًا، فتحملت الكارثة فى هدوء وصمت، وانبطحت فى قمرتى... وراحت العواصف تدفع الأسطول فى غير هوادة، حتى بلغ شيطان الإيوليين مرة أخرى....

وهناك بكى صحبى... وهبطنا الشاطئ، وكان همنا أن نرشف من ماء إيوليا العذب رشفات، ثم جلسنا نعد أكلة عجلى ونلتهمها، وتوجهت أنا وصديق إلى قصر الملك ثانية... وقد كان يجلس لوليمة كبيرة هو والملكة الحسناء، وأبناؤه... ولشد ما راعه أن يرانا بعد طول النأى، فحدجنا وقال: «ويلك أوديسيوس فيم عدت أدراجك؟ وأى سلطان مشئوم لوى عنانك بعد أن أرسلناك مزودا بخير زاد لتصل إلى بلادك، وتلقى أهلك؟!» وكان فؤادى

ينخلع حين قلت أجيبه: «خانني رجالي اللؤماء، فإذا شاء الملك فليجبر ما انصدع منا.. زودهم الملك بما طلبوا وأبحروا.. حتى وصلوا إلى جزيرة الجبابرة فأمطرهم الجبابرة بالأحجار... ثم واصلوا رحلتهم حتى وصلوا إلى جزيرة إيايا حيث تقيم ربة السحر، سيرس..!

يحكي أوديسيوس ويقول:

تسلحت برمحي وسيفي وحثثت خطاي في إسناد الجبل حتى كنت في ذراه الشاهقة، ووقفت ثمة أنظر وأتحسس، فلمحت في البعد دخانًا يصعد بين الدوح والزهر من قصر سيرس. عسى أن أجد عنده خيرًا. ولقد تردت بعد ذلك كثيرًا وكدت أعود أدراجي إلى السفينة لأرسل نفرًا من رجالي يكشفون لي الطريق إلى القصر، وما كدت أخطو خطوات حتى ساق إليَّ أحد الآلهة ظبيًا غريرًا شرد من المرج ليستقي مما ألح به من ظمأ فأرسلت إليه رمحي فقصم ظهره، وسقط يتخبط في دمه، وقطعت شيئًا من عساليج الصفصاف وجدلت منها حبالاً، وأوثقت الظبي واحتملته على ظهري، ومضيت قدمًا إلى رفاقي متوكئًا في كل خطوة على رمحي، إذ لم تعد شيخوختي تستقيم لمثل هذا الحمل الكبير، وهتفت برجالي في مرح وظرف: «هلموا يا رفاق فلن نقضي قبل أن تحين آجالنا! هلموا إلى ظبي فتيق (فحل) وشراب عتيق، واطرحوا ما بكم من هم وضيق..» وأقبلوا فرحين وشمروا عن

سواعدهم وهم يستهولون من جذل هذا القنص الغريض، وظللنا يومنا هذا نطعم ونشرب، حتى إذا أرخى الليل سدوله انكفأنا على الشاطئ نغط في سبات هادئ، هتفت برجالي فهبوا، ثم جلسنا ساعة نتشاور، وأنا أقول لهم :

لا يجدي البكاء... ثم قسمتهم فريقين، جعلت على أحدهما يوريلاخوس، وجعلت نفسي على الفريق الآخر، وجلسنا نقترع على من يذهب لارتياد الجزيرة، فوضعنا الرقاع في خوذتي، ثم كانت القرعة على يوريلاخوس، فمضى هو ورجاله يستكشفون الجزيرة.

أقبل يوريلاخوس ينتفض من الذعر يصعقنا بأنباء ما رأى: «أوديسيوس ياذا المجد! لقد ذهبنا نتحسس كما أمرتنا، ونرود هذا الوادي الأشب، فوجدنا قصرًا مشيدًا فوق أكمة عالية، وسط بطيحة منخفضة سامقة جلست تحتها امرأة وهي لا تفتأ على منسج بخفة وصنعة، وترسل ألحانًا حنونة حلوة، وما كادوا يهتفون بها حتى نهضت فلقيتهم بالبشر وفتحت بابها على مصراعيه فدخلوا جميعًا- حاشاي- فقد أوجست خيفة، راقبت رفاقي إذ هم جلوس لحظة غير قصيرة، ثم هالني ألا أراهم فجاة! «وما كاد ينتهي حتى قفزت إلى سيفي فتسلحت به وأخذت قوسي وسهامي، وأمرته أن ينطلق بين يدي إلى حيث ذهبوا من قبل، ولكنه ركع أمامي وتعلق بساقي وجعل يرجو ويلح في الرجاء ألا

أذهب.. في أن تنجو بنفسك. فانطلق بمن بقي منا، وياحبذا لو استطعنا الفرار!» ولكني أجبته أن يبقى هو فيأكل ويشرب في السفينة، ويكون بنجوة مما فزع منه، أما أنا فلم أر ضرورة لبقائي.

وسكن أوديسيوس... ولكن الراعي الشاب الجميل أخذ يتحول في فتون وسحر إلى صورة خلابة أخرى.. لقد أصبح امرأة حسناء هيفاء.. وها هي ذي ... تلك المرأة الحسناء الهيفاء... تبدو في صورة منيرفا – ربة الحكمة– التي اقتربت من البطل في تبسم وظرف، وأخذت تعبث بلحيته الكثة الشعثاء في دلال وسخرية، وراحت بدورها تجيبه: «مرحى أوديسيوس.. مرحى مرحى!!! ما أحسب أن أحداً يفوقك في مكرك وبراعة حيلتك يا ابن لرتيس!! وحذرته منيرفا أن يُعلم أحداً بوصوله إلى إيثاكا وأخبرته أن ابنه بخير»..

قالت: «لا تأس على ولدك هكذا يا أوديسيوس، لقد أرسلته أنا ثمة، ينشد الشرف وينشر ذكره بين الناس.. إنه لا يلقى عنتًا هناك، بل هو ينعم بالرعاية في قصر أثريدس! واعلم أن فريقًا من عشاق بنلوب يتربصون به، ويترصدونه في طريقه ابتغاء أن يقتلوه قبل أن يبلغ أرض الوطن... ولكن لا ... خاب فألهم... إنهم لن يمسوه بأذى حتى تكون الأرض قد رويت من دمائهم، أولئك السفلة الذين يستحلون زادك وعتادك الآن».

* * *

رحلة أوديسيوس إلى العالم الثانى :

يقول أوديسيوس :

« وذهبنا إلى الشاطئ وأنزلنا الفلك إلى الماء، ثم أصلحنا القلاع ونشرنا الشراع، ووضعنا القرابين على السطح، وذرفنا من الدموع ما شاءت لنا الهموم والآلام.. وأقلعنا.. وأرسلت سيرس بين أيدينا ريحًا رخاء كانت خير معوان لنا وخير رفيق فى سفرتنا الرهيبة هذه، حتى لتركنا لها مقاليد الفلك، ولم تزل تجرى بنا طول هذا اليوم، حتى إذا أوشكت الشمس أن توارى بالحجاب أشرفنا على تخوم البحر الأعظم، حيث تنهض مدينة السمريين. هى أبدًا فى ليل وأنزلنا الكبش والشاة إلى البر وانطلقنا فوق سيف البحر إلى حيث أمرتنا سيرس وتركنا يوريلاخوس بن برميد عند القربانين، وعنيت أنا بحفر الوهدة فجعلتها ذراعًا فى ذراع، ثم شرعت أصب تقدمات الشراب باسم الموتى، وذبحت القربانين فتدفق الدم فى الوهدة.. وهنا... أهرعت الأشباح من كل فج قاذفين فى قلوبنا الرعب... ثم هتفت برجالى فشرعوا يحرقون القرابين ويصلون لرب هذه الدار – بلوتو – ولزوجه، ورحت أنا أذود الأشباح الهائمة عن دم الضحايا بسيفى أضرب به ههنا وههنا.

لقى الحكيم تريزياس أوديسيوس وصحبه... قال له عن زوجته بنلوب :

يا بنى ! إنها لا تزال وفية لك، مبقية على ذكراك، مقيمة فى

قصرك، وإن تكن تقضى لياليها وأيامها فى حزن ممض عليك، ودموع جارية من أجلك، وآلام ما تنتهى لبعدك، أما أملاكك فلا تزال لك، وما يفتأ ولدك يغلها باسمك، وما يفتأ يغشى الولائم فى أبهة الأمراء، ورواء الأماثل العظماء! ولم يزل أبوك مقيمًا فى مزارعك، عزوفًا عن المدينة وبهرجتها، وأرائك القصور وزرابيها، وهو يقضى أيامه يصطلى نار المدفأة فى الشتاء، قابعًا على فروته الفقيرة المتواضعة غارقًا فى أثماله ... ثم ودعه تريزياس واختفى ... بعدها عاد أوديسيوس إلى الأرض..!

أوديسيوس يصل إلى إيثاكا :

فرغ أوديسيوس من حديثه، وجلس القوم فى الردهة ذات الظلل مشدوهين من روعة ما حدث و من غريب ما روى، حتى تكلم فقال: « أوديسيوس يا أيها العزيز! صفا بالك وطاب حالك واستذريت من ذرى هذه القبة الشماء بركن ركين، فلن ينالك أذى بعد اليوم ولن تقدر عليك الرياح الهوجاء فى رحلتك الآمنة إلى بلادك.

فرح أوديسيوس كثيراً.. هرع إلى الميناء..

اشتغل بعض البحارة بإعداد فراش وثير فى قمرة خلفية من أجل أوديسيوس.. الذى آوى إلى منامته واستغرق فى سبات لذيذ، بينما كان الملاحون يعملون فى فك الحبال ورفع المرساة من

صخور الشاطئ حتى إذا انتهوا توزعوا إلى مجاديفهم وأعملوا فيها أيديهم، وتلألأت فى الأفق الشرقى نجمة الفجر الصادق حينما كانت الفلك قبالة الأرض الموعودة... إيثاكا... بعد إذ أتمت رحلتها الخاطفة فى جنح الليل.. ويمم البحارة بفلكهم شطر الميناء ثم أرسوا فيه وحملوا أوديسيوس الزعيم دون أن يوقظوه ووسدوه على فراش على الشاطئ، ثم حملوا كل متاعه فجعلوه إلى جانبه خلف زيتونة ضخمة تحجبها عن أنظار المارة، حتى لا يعبث بها لص إذ هو مستغرق فى نومه العميق.. وركبوا الفلك بعد هذا وعادوا أدراجهم إلى شيرا.. صحا البطل من النوم وبحث عن رفاقه، ولم يجد لهم أثرًا.. بدت له آخر الأمر منيرفا فى صورة راع صغير غض الإهاب عجيب الثياب جميل المحيا، كأبناء الملوك، فى قبضته حربة ناعمة لامعة.. وكانت مفاجأة سارة فوجئ بها أوديسيوس فخطا خطوات عاجلة إلى الشاب وراح يسائله: «مرحبًا أيها الجميل! لقد كنت أول إنسى ألقاه هنا، فيحق هذا عليك أن تحمينى، إنى أتوسل إليك كما لو كنت أتوسل إلى أحد الآلهة أن تصدقنى فيما أسألك عنه: أية بلاد هذه؟ وأى قوم يعيشون فيها؟ أهى جزيرة آهلة أم حدود من بلاد مترامية؟ أخبرنى بأربابك أيها الفتى».

وقالت منيرفا ذات العينين الزبرجديتين تجيبه: «أيها الغريب اللاجئ كم أنت ساذج! هذه يا رجل إيثاكا... إيثاكا المباركة التى

استطالت شهرتها واستطار ذكرها حتى ملأ الخافقين وجاوز طرودة ذات المجد.

وشاع البشر في نفس أوديسيوس لما سمع الراعي الجميل يؤكد في لهجة قاطعة أن هذه البلاد هي إيثاكا الموعودة، هلم فاتبعني إلى داري أطعمك ما تيسر، وأسقك كفايتك، وتخبرني بعدها من أنت، ومن أين أقبلت، وماذا وراءك؟» وانطلقا وقدم إليه الراعي الكريم وحشيته التي كان يجلس عليها، والتي اتخذها من جلد عنز حشاه بالقش، فشكره أوديسيوس، ودعا له بما يحب وبكل ما تصبو إليه نفسه، فقال الراعي يجيبه: «أيها الصديق ليس أمقت إليّ من أن أذود لاجئًا إلى داري وجاء بالشواء فوضعه أمام أوديسيوس، ثم نثر عليه من الدقيق وأحضر زق الخمر، وجلس قبالته وقال: «هلم يا ضيفي العزيز فكل وارو.. لا تؤاخذني إذا رأيت الشواء لا سمينًا ولا حنيذًا، فكل سمين وحنيذ يذبح أولاً فأولاً ويرسل إلى العشاق السفلة الذين لا يرعون في الآلهة إلاً ولا ذمة، ولا يخافون سماء ولا بشرًا.. بالله من هؤلاء الفجرة... ألا يلمون شعثهم ويغيرون بخيلهم ورجلهم على بلد قاصٍ فيشوبها بأسلاب الغزو وسخط الآلهة؟ أم تراهم أوحى إليهم بموت مولاهم فهم هنا قائمون ما يريمون، ولزاده آكلون وشاربون حتى فرغت الجرار، وخوت الدار وضؤل الزرع وجف الضرع.

قال أوديسيوس :

اطمئن إذن يا صاح ، وثق أن أوديسيوس لابد عائد هذه السنة إلى إيثاكا بل ربما عاد هذا الشهر، ولن يمضى شهر آخر حتى يكون قد ثار لعرضه من أعدائه وبطش بهم جميعًا... أولئك الفجرة الأشرار الذين جسروا على استباحة حماه، وإهانة زوجته، وعدم المبالاة بولده!» وسخر الراعى وقال : «أهكذا تقسم وتؤكد القسم يا صاح؟ أبدًا لن تنال الرهان أبدًا، فقد أودى أوديسيوس ولن يعود بعد.... هلم هلم، اشرب كأسك، ودع هذا الحديث فإنه يحزننى ويثير شجونى.. خل قسمك، وليقدم أوديسيوس فى خيالك أو فى الحقيقة، فأنا وزوجته وأبوه وولده.. كلنا نشتهى ذلك ونتمناه ...

هنا كشف له أوديسيوس عن حقيقته.. وحكى له عن رحلته الرهيبة..

ثم آن الأوان ليلقى أوديسيوس ابنه تليماك..!

عودة تليماك :

ثم رفت منيرفا رفتين فكانت فى وادى ليسديمون الخصيب حيث حل تليماك ضيفًا كريمًا على الملك منلوس، وحيث وجدته يتقلب على فراش السهد و الأرق، لا يستطيع أن يغمض عينيه من هول ما يفكر فى أبيه...

وقفت الربة عند رأس تليماك وأنشأت تقول له : «إلام تظل هنا فى مهاجرك بأقصى الأرض نائيًا عن وطنك يا تليماك؟ هكذا رضيت أن يأكل العشاق الفساق تراثك ويذهبوا بنعماء السماء عليك، ثم لا تلبث أن تثوب إليهم من تطوافك بالآفاق بقبضة من هواء وخيبة من الرجاء . .هلم هلم اسأل الملك أن يأذن لك فى السفر من فورك، فقد ألح جدك وأخوالك على أمك أن تتزوج من الأمير يوريم، هب تليماك فأيقظ رفيقه من نومه قائلا : «هلم بيزاستروس! هلم فأسرج الخيل ولنرحل من فورنا!» وقال له ابن نسطور يجيبه : «هلم إلى أين يا صاحبى؟ كيف نخبط فى هذا الليل الدامس؟ ألا نصبر حتى تشرق الشمس، وحتى يلقاك الملك فيخلع عليك ويحسن وداعك، لتظل ذكراه الحسنة ماثلة إلى الأبد فى روعك؟»

وانبلج الصبح فنهض منلوس الملك ويمم شطر الغرفة التى نام فيها تليماك ورفيقه، وما كاد تليماك يلمح فى غبشة الفجر صورة الملك حتى هب مسرعًا، وأضفى عليه طيلسانه الفاخر، وائتزر فوقه بمئزر آخر، ثم دلف نحو الباب فلقى الملك ثمة وقال له : بورك الملك وتعالى جده! تالله لقد آن لى أن أعود إلى إيثاكا، وبودى لو أذن الملك بذلك، فقال الملك :

«إنا لا نستطيع أن نحجرك إذا كانت رغبتك أن تشد رحلك يا تليماك، وإنه ليس أشق علينا أن يقيم ضيف لدينا برغمه أو أن

نعجله على الرحيل من عندنا.. بيد أنه يحسن أن تنتظر قليلاً».

أجاب تليماك: «مولاى أتريدس، منلوس العظيم! تالله إنه لآثر إلىَّ أن أرحل لساعتى، فلقد تركت ورائى بيتًا لم أدعه فى صيانة أحد، وحطامًا لست آمن عليه أحدًا.. وأخشى يا مولاى أن أقضى فى رحلتى هذه وراء أبى، فلا أكون قد أبقيت على نفسى، ولا رعيت تراثه الذى تركه لى».

ودعهما الملك بعد أن زودهما بالهدايا...

أوديسيوس وتليماك:

حينما أقبل تليماك هرعت إليه الكلاب تلعق ثيابه وكفيه. لاحظ ذلك أوديسيوس فقال للراعى:

– من هذا يا يومايوس؟

انطلق الراعى يعانق سيده، ويقول:

– مرحبًا بك يا تليماك الغالى!

قال تليماك وهو يجلس:

– لقد جئت أسأل عن حال أمى..

حكى له الراعى ما تقاسيه بنلوب من عذاب..

أقبلت منيرفا. قالت لأوديسيوس:

– هلم اكشف نفسك لولدك، يا صديقي..

* * *

صارح أوديسيوس ولده بحقيقته. احتضنه تليماك وبكى..

عاد الراعي، فقال أوديسيوس :

– علينا أن نكتم أمرنا إلى أن ننتهي من عصابة العشاق والسفلة!

* * *

ذهب تليماك إلى أمه، فبكت وطوّقت عنقه بيديها، وأمطرت وجهه بالقبلات.

ها هي جالسة بعد ذلك تنسج ثوبها الذي تعمل فيه الليل وتفكّه بالنهار..

ودخل أوديسيوس في هيئة شحاذ أثناء مأدبة العشاق... تندّروا عليه وألقوا إليه لقيمات..!

خرجت بنلوب تواجه العشاق. قالت :

– هذه قوس أوديسيوس.. هلم. من استطاع أن يثنيها ويطلق منها سهماً أتزوجه في التو!

وأشارت إلى قوس تحملها وصيفة، وإلى كنانة السهام تحملها أخرى.. تابعت بنلوب سائلة :

– من منكم يقدر على ذلك؟

ضحكوا.. وتقدم الأول.. تناول القوس. حاول أن يعالج وترها.. لم يستطع...

وحاول الثاني ، والثالث ، حتى آخر العشاق...

هنا تناول أوديسيوس القوس ونزع ثوب تنكره وقال:

– انظروا جميعًا!

أطلق أوديسيوس السهم تلو السهم.. لكن في صدور العشاق.. حاولوا أن يفروا.. لكن هيهات!

لقد أغلق الراعي باب القاعة.. ولبد أمامه تليماك بسيفه.. سقط في يديه العشاق...

هتف أوديسيوس :

– أرأيت يا زوجتي العزيزة كيف يفرون كالجرذان؟

هرعت إليه بنلوب وهي لا تصدق أذنيها..

وما هي إلا ساعة وسقط السفلة صرعى...

وعاش أوديسيوس هانئًا مع زوجته وولده، بعد أن استرد عرشه، مملكة إيثاكا البديعة..!

* * *

الفهرس

الـــــروايـــــة	الصـفـحـة
الأليـــاذة	٣ – ٥٤
الأوديسة	٥٥ – ٩٣

obeikandl.com